

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة



كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

الاتجاهات اللسانية في الكتابات العربية – دراسة في البنوية والتوليدية والتداولية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية
تخصص: علوم اللسان

إشراف الأستاذ:
عزيز كعواش

إعداد الطالب:
فيصل قاله

السنة الجامعية: 1436هـ/1437هـ
2015م/2016م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى من جرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب
إلى من كُت أنامله ليقدّم لنا لحظة سعادة
إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم
(والدي العزيز) إلى القلب الكبير رحمة الله عليه

إلى من أرضعتني الحب والحنان
إلى رمز الحب وبلسم الشفاء
(والدي الحبيبة) إلى القلب الناصع بالبياض

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين
(إخوتي) حياتي

إلى الروح التي سكنت روحي
الآن تفتح الأشرعة وترفع المرساة لتنطلق السفينة في عرض بحر
واسع مظلم هو بحر الحياة وفي هذه الظلمة لا يضيء إلا قنديل الذكريات
(أصدقائي) ذكريات الأخوة البعيدة إلى الذين أحببتهم وأحبوني

فيصل

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم. والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

تعد اللغة العربية من أعرق اللغات، فهي إحدى اللغات التي تفرعت عن اللغة السامية. وهي تمتاز عن اللغات الأخرى بسمات يقل أو ينعدم وجودها في غيرها كالإعراب وكثرة المرادفات ودقة التعبير والإيجاز وغيرها من المميزات.

ولقد كتب لها التاريخ البقاء على مد السنين والعصور محافظة على نظامها في جميع مستوياتها؛ الصوتية والصرفية والنحوية.

واللغة العربية حظيت باهتمام الدارسين بها، وألفت حولها كتب كثيرة ومتنوعة وفي شتى المجالات؛ الأدبية واللغوية وغيرهما. كما بُدلت في دراستها والتعقيد لها جهود جبارة حتى كانت النتيجة أن صارت إرثاً لغوياً ضخماً.

لكن لما حل عصر النهضة، وشهد العالم العربي انفتاحاً على الثقافات الأخرى، عاد اهتمام الدارسين باللغة العربية، وظهرت نظرات وأفكار جديدة في مختلف المجالات اللغوية، من بينها التفكير في إعادة النظر في الدراسات العربية القديمة، والدعوة إلى تيسير النحو والتخلص مما يكتنفه من الغموض والغرابية والتعقيد.

وفريق آخر يذهب عكس هذا الاتجاه فيرى ضرورة العودة إلى التراث اللغوي العربي بالنقد والتمحيص.

في خضم هذه التطورات بدأت تتشكل ملامح لسانيات عربية حديثة، وذلك عن طريق الاتصال الذي وقع بين العرب والعالم الغربي، والذي أدى من خلاله إلى انفجار

كم هائل من نظريات واتجاهات ومدارس لسانية متعددة ومتباينة في العالم العربي والتي أهمها: البنيوية، والتوليدية التحويلية، والتداولية.

وقد انقسم علماء العرب والباحثون أمام هذه الاتجاهات إلى فرق؛ كل فريق له آراؤه ووجهاته النظرية.

والإشكالية المطروحة كيف أسقطت أفكار ومبادئ تلك الاتجاهات على اللغة العربية؟ وهل كانت حاضرة في التراث العربي القديم؟ وإذا كان الجواب بالإثبات فهل يمكن القول أن الغرب على اتصال بالعرب واطلاع على ثقافتهم فوق عامل أخذ أم كان ذلك بالصدفة؟

إن الجواب عن كل هذه الأسئلة موجود في هذا البحث الموسوم بـ: (الاتجاهات اللسانية في الكتابات العربية – دراسة في البنيوية والتوليدية والتداولية).

إن أسباب اختيار هذا الموضوع راجع إلى مدى أهميته في الدراسات اللغوية، وإغفال كثير من الدارسين والمُدَرِّسين عنه، مما أدى بالكثير منهم من الانصراف عنه وتركه قائماً، دون الخوض فيه بالبحث عن كنهه وعلاقته باللغة العربية.

والهدف الأساسي من وراء التحرير في هذا الموضوع هو محاولة الكشف عن تأثير العلماء العرب والباحثين بالاتجاهات الغربية الحديثة مع إبراز مواطن هذا التأثير، كما أن ثمة هدفاً آخر وهو إثبات حضورها في التراث العربي القديم.

أما المنهج المتبع أثناء دراسة هذا البحث فهو منهج وصفي تحليلي تاريخي؛ وذلك بالعودة إلى التراث، ومقارن؛ بمقارنة بين الفكرين: العربي القديم والغربي المعاصر، مع حضور عنصر النقد فيه.

وقد تضمن هذا البحث مدخلا وثلاثة فصول وخاتمة. أما المدخل فالموضوع المتناول فيه مراحل نشأة الدراسات اللغوية وأبرز الاتجاهات والتيارات اللسانية التي ظهرت في عصر النهضة إلى الآن.

أما الفصول فعددها ثلاثة ولكل فصل مبحثان اثنان؛ فالفصل الأول كان بعنوان: الاتجاه البنوي في الكتابات العربية، وله مبحثان؛ المبحث الأول معنون بـ: البنوية السوسيرية في البحوث العربية، والمبحث الثاني كان تحت عنوان: البنوية الوظيفية في الدراسات العربية.

أما الفصل الثاني فجاء عنوانه بـ: التوليدية التحويلية في الكتابات العربية قراءة ونقد. وقد تضمن مبحثين؛ وموضوع المبحث الأول: الاتجاه التعريفي التحليلي للتوليدية في درس اللساني العربي، والمبحث الثاني: ففكرته حول الاتجاه التأصيلي الإسقاطي في البحث التوليدي العربي.

أما الفصل الثالث فعنوانه: الاتجاه التداولي العربي الحديث، وله مبحثان اثنان؛ الأول: الكتابات التمهيديّة عن التداولية العربية، والثاني: الكتابات التراثية وتطبيق المناهج الغربية على النصوص العربية.

وأخيرا الخاتمة فكانت عبارة عن ملاحظات ونتائج لما توصل إليها الباحث.

أما الدراسات السابقة فهي دراسة لكتاب عن فردينان ديسوسير لمحمد خير محمود البقاعي، فصول في علم اللغة العام لأحمد نعيم الكرعين، ودراسات في اللسانيات العربية لعبد الحميد السيد، والمنهج البنوي بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات لـ الزواوي بغورة، وقضايا ألسنية لميشال زكريا، والنظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة لأحمد صالح شاهين، والتداوليات وتحليل الخطاب لجميل حمداوي.

أما عن الصعوبات فالمعروف أنه أي عمل فيه بذل للمجهود واستفراغ للطاقة لا يخلو من صعوبات وعوائق تعترض الباحث من بداية عمله حتى نهايته، وتتمثل هذه العوائق التي وقفت في طريق الباحث أثناء إعداده للبحث ما يلي:

عامل الزمن الذي أخذ من الباحث ما أخذ، وتسارعه في عرض المسائل والقضايا. وأيضا عامل طبيعة البحث؛ فهي ذات موضوع عام شامل لثلاث اتجاهات لسانية غربية، وتطبيقها على العربية، ثم البحث عنها في التراث العربي. وأيضا هناك عامل آخر يهدد الباحث فيتعثر به تارة، وتارة أخرى يقف ليوصل العمل، ويتمثل هذا العامل في قلة المصادر والمراجع في الكتابات العربية، بل توفرها في المكتبات شبه منعدم، مما اضطر بالباحث إلى عملية تحميل الكتب من الإنترنت. وأيضا لعب العامل النفسي دوره في هذا المجال؛ حيث يصيب الباحث الملل والإحباط فينتابه اليأس في كثير من الأحيان، مما يجعله يتوقف عن عمله ويفكر بتركه، لكن سرعان ما يتراجع عن هذا القرار بعد تشجيع وتحفيز من غيره، وبتقّة بنفسه.

وفي الأخير نشكر الأستاذ المشرف الذي ساعدنا في إنجاز هذا البحث والذي وقف معنا طوال السنة الدراسية من أجل إتمامه ونشكر جميع من ساندونا في هذا العمل من قريب أو من بعيد .

تمهيد

مرت الدراسات اللغوية بعدة مراحل قبل وصولها إلى هذه المرحلة التي تعرف بالألسنية،¹ وقد تفرعت من بعد إلى اتجاهات ومذاهب ومدارس لسانية متعددة؛ وتتمثل هذه المراحل الأولى للدراسات اللغوية فيما يأتي :

المرحلة الأولى: ومادتها النحو وطابعها معياري فلسفي غير علمي وغير دقيق. قائمة على استقراء الظاهرة اللغوية، وتتبعها، ثم استنباط منها جملة من القواعد والقوانين؛ من أجل بيان صحة الكلام أو خطئه.

وهذا ما أشار إليه دوسوسير في كتابه (دروس في الألسنية العامة) في قوله: >> إن هذه الدراسة التي بدأها الإغريق وأخذها عنهم الفرنسيون اعتمدت على علم المنطق وهي تفتقر إلى النظرة العلمية ولا ترتبط باللغة نفسها، وليس لها من هدف سوى وضع القواعد التي تميز بين الصيغ الصحيحة، وغير الصحيحة، فهي دراسة معيارية، تبتعد كثيرا عن الملاحظة الصحيحة للحقائق، ومجالها محدود، ضيق <<.²

المرحلة الثانية: وتسمى هذه المرحلة بفيلولوجيا أو بفقہ اللغة، والتي ظهرت على يد فردريك أوكست ولف في عام 1777م. وتقوم هذه المرحلة على دراسة النصوص القديمة المكتوبة وتصحيحها وشرحها والتعليق عليها.³

¹ ينظر الزواوي بغورة، المنهج البنوي - بحث في الأصول والمبادئ -، ط 1، عين مليلة - الجزائر، دار الهدى، 2001، ص 33.

² فردينان ديسوسير، علم اللغة العام، ترجمة بوئيل يوسف عزيز، مراجعة مالك يوسف المطليبي، ط 1، الأعظمية - بغداد، دار آفاق عربية، 1984، ص 19.

³ ينظر الزواوي بغورة، المنهج البنوي - بحث في الأصول والمبادئ -، ص 33.

ولكن هذه المرحلة لا تقف عند هذا الحد فقط، بل تهتم بالتاريخ الأدبي، وبالعادة والتقاليد، والنظم الاجتماعية وغيرها. مستخدمة أساليب النقد أثناء الدراسة.¹

المرحلة الثالثة: ظهرت في هذه المرحلة الدراسة المقارنة بين اللغات، والتي كانت مع فرانز بوب في كتابه (النظام الصرفي للسانسكريتية)؛ حيث قارن اللغة السانسكريتية باللغة الألمانية والإغريقية واللاتينية وغيرها.² ولكنه لم يكن سابقا إلى الإشارة للأوجه الشبه بين هذه اللغات، بل هناك من سبقه في ذلك؛ وهو وليم جونز.³

ظهرت بعد المراحل الثلاثة السابقة مرحلة جديدة فريدة من نوعها؛ كانت باسم الألسنية على يد دوسوسير. وهنا تغير مجرى حياة الدراسات اللغوية واتخذت مدارس واتجاهات ومذاهب متعددة يكاد لا يمكن حصرها.

لكن المتتبع للنظريات اللسانية المعاصرة يتبين له أنها على قسمين اثنين وهما؛ أن الأول يدرس اللغة ونظامها والعلاقات التي تربط عناصرها اللغوية بالعناصر الأخرى دراسة شكلية بعيدة عن سياقاتها الاجتماعية والثقافية التي هي مستعملة فيها هذه اللغة.⁴

¹ ينظر فردينان ديسوسير، علم اللغة العام، ص 19.

² ينظر الزواوي بغورة، المنهج البنوي- بحث في الأصول والمبادئ، ص 33.

³ المرجع نفسه، ص 19.

⁴ ينظر محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط: بلا، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص 57.

ويتميز هذا الاتجاه باهتمامه بالجانب الشكلي أكثر من المضمون، ولا يهتم كثيرا بالمعنى المقام، ولا بالسياق، ولا بالخطاب. وأبرز نظريات هذا الاتجاه؛ البنيوية، والنحو التحويلي التوليدي، وغيرهما.¹

أما الاتجاه الثاني فيهتم بدراسة الاستعمال اللغوي والضوابط التي تحكمه، ودور السياق في عملية التواصل، كما يهتم بالمتكلم والسامع والعلاقة التي تربطهما، وغيرها من هذه الأمور. وأشهر هذه النظرية التداولية.²

¹ ينظر محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 57.

² المرجع نفسه.

الفصل الأول

الاتجاه البنوي في الكتابات العربية

- * أولا : البنوية السوسيرية في البحوث العربية
- * ثانيا : البنوية الوظيفية في الدراسات العربية

المبحث الأول: البنوية السوسيرية في البحوث العربية

أولا : الإرهاصات الأولى للدراسات السوسيرية في الوطن العربي

لقد انقضى القرن التاسع عشر الميلادي وانقضى معه المنهج الذي كان متبعا وسائدا آنذاك؛ حيث كانت الدراسات اللغوية قائمة على المناهج التاريخية والمقارنة والتقابلية، وكما أنها ذو طابع معياري، وتتسم بالفلسفة والمنطق.

لكن مع بداية القرن العشرين بدأ التغيير يظهر في المنهج والطريقة، وكذا في القضايا والمسائل اللغوية المطروحة، كما أخذ اللسانيون يبتعدون عن هذه المناهج المسيطرة قبل هذه الفترة شيئا فشيئا، بعد أن رأوا عدم صلاحيتها، وضعف قيمتها، مما أدى بهم إلى اتباع منهج آخر غيرهما¹؛ وهذا ما كان بارزا عند العالم السويسري فرديناند دوسوسير؛ الذي وصفه البعض بسببويه أوروبا.

وقد دعا إلى دراسة اللغة دراسة علمية موضوعية وصفية آنية؛ ابتعادا عن تاريخ نشأتها وتطورها وعن البحث في علة تغيرها²، وهذا ما عبر عنه سعد العبد الله الصويان في قوله : >> وبناء على ذلك يرى سوسير أن الهدف الأساسي في علم اللغة ليس ما كان يقوم به اللغويون من دراسة تاريخ اللغة وتطورها، أو ما يسمى بالدراسات

¹ ينظر أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط: بلا، ديوان المطبوعات الجامعية، 2002، ص 116.

² ينظر محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ط1، بنغازي - ليبيا، دار الكتب الوطنية، ص 10.

التتبعية أو الداياكرونية ... وإنما دراسة الحالة اللغوية ... وهذا ما يطلق عليه الدراسة التزامنية أو السنكرونية <<1.

لقد قضى دوسوسير معظم حياته في دراسة اللسانيات التاريخية، أما الآنية فدرسها في السنوات الأخيرة من حياته. لقد أعاد تنظيم دراسة اللغة وفق تصور جديد² وبأفكار جديدة تمكن التأثير بها على الحلقات اللسانية المختلفة، وامتد بها إلى مختلف العلوم الإنسانية.³

وأفكار دوسوسير مجموعة في كتاب منسوب إليه، وكان بعنوان: (محاضرات في اللسانيات العامة)؛ وهذا الكتاب عبارة عن أفكار دوسوسير كان قد ألقاها على تلامذته في جامعة جنيف بين 1906 - 1911، وبعد وفاته قام اثنان من تلامذته بجمع شتات هذه الأفكار في كتاب، وتوزيعها على شكل فصول فعناصر، فلولا شارل بالي وألبار سيشيهاي لما كان هذا الكتاب يرى النور.⁴

وهذا الكتاب تم ترجمته إلى لغات العالم وكانت للعربية فيه نصيب. لكن ترجماته إلى العربية متفاوتة بين الرداءة والجودة. وهنا لسنا بصدد تقويم الترجمات؛ بل إثبات مدى قيمة هذا الكتاب وأهميته الكبيرة، ومدى اهتمام العرب بفردينان دوسوسير، وهذا ما نجده في مقدمة كتاب المترجم محمد خير محمود البقاعي الذي قال: << ونشأت حول الكتاب حركة لغوية...إنها كالحركة النقدية التي نشأت حول أبي تمام والمنتبي، فتعددت الشروح والتفسيرات والطبعات المحققة، والمقارنة بالمخطوطات،

¹ سعد العبد الله الصويان، (النظرية اللغوية عند فردينان ديسوسير)، مجلة الدراسات اللغوية، العدد 2، كلية الآداب - جامعة الملك سعود، 1422هـ / 2001 م، ص 24.

² ينظر حنون مبارك، مدخل إلى لسانيات دوسوسير، ط1، فاس، 1986، ص 5.

³ المرجع نفسه، ص 6.

⁴ ينظر أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 119.

وإثبات الفروق <<¹ وقال أيضا: >> ترجم كتاب سوسير إلى لغات كثيرة ... وكان نصيب الكتاب في العربية حتى ساعة كتابة هذه السطور خمس ترجمات <<².

هذا الكتاب كان أول ترجمة له عام 1984، بعنوان محاضرات في الألسنية العامة فردينان دوسوسير من قبل يوسف غازي، ومجيد النصر، ثم صدرت الترجمات الثلاث الأخرى في عام واحد هو 1985، وإليك أسماء هذه الكتب:

- فصول في علم اللغة العام، ومترجمه الدكتور أحمد نعيم الكراعين.³
- دروس في الألسنية العامة، ومترجمه صالح القرماذي ومحمد الشاوش ومحمد عجيبة.⁴
- علم اللغة العام، والذي ترجم عن الإنجليزية وأجزها الدكتور يوثيل يوسف عزيز وراجع نصها العربي مالك يوسف المطلبي.⁵
- محاضرات في علم اللسان العام، بترجمة عبد القادر قنيتي ومراجعة أحمد جيلي.⁶

إن نقل هذا الكتاب إلى البيئة العربية متأخر جدا، أي بعد حوالي سبعين سنة من نشره على يد بالي وسيشهاي، ولهذا التأخير أسبابه وعوامله.⁷

ولدينا أقوال عن أعلامنا تثبت صحة ما ذهبنا إليه عن تأخر العرب في استقبال هذا الكتاب في الوطن العربي؛ يقول حمزة المزيني: >> وعلى رغم من تأخر ترجمة

¹ ميشال أرفيه، تحقيق محمد خير محمود البقاعي، البحث عن فردينان دوسوسير، ط1، الرياض، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009، ص 9

² المرجع نفسه، ص 9 - 11.

³ المرجع نفسه، ص 10.

⁴ المرجع نفسه.

⁵ المرجع نفسه.

⁶ المرجع نفسه.

⁷ ينظر حنون مبارك، مدخل إلى اللسانيات دوسوسير، ص 07.

كتاب دوسوسير، وسبق اللسانيات له سبقا عظيما الآن، إلا أن ترجمته إلى العربية ضرورية لقيمتها التاريخية >>.¹

وقال آخر عز الدين المجذوب: >> حظي كتاب فيردينان دوسوسير في الفترة الأخيرة بعناية كبيرة من قبل الباحثين العرب فظهرت له خلال سنتي 1984 و 1985 ثلاث ترجمات ... وقد مضى اليوم (عام 1987) على نشره سبعون سنة تداوله فيها الناس ... وقد يبدو تأخر العرب عن ترجمة هذا الكتاب أمرا غريبا بالنظر إلى قيمة الكتاب وخطره >>.²

لقد ذكر عز الدين المجذوب بعض نقاط عدّها أسبابا لتأخر العرب في ترجمة هذا الكتاب، ويبدو بأنها كافية لإثبات المذهب الذي ذهب إليه، بعد الحيرة التي انتابته والأسئلة التي أثارها ولقد قال: >> وتساءلت كثيرا لما كان دي سوسير له هذه الأهمية في الدراسات اللغوية، فلماذا لم يترجمه أحد خريجي السوربون أو الجامعات الفرنسية إلى لغتنا العربية؟ والمبعوثون والدارسون العرب في فرنسا ليسوا قلة >>.³

ثم عاد لي طرح السؤال من جديد وبأسلوب آخر ومغاير فقال: >> ووجدت مرة أخرى هذا الاهتمام بأفكار دوسوسير وآرائه، عاد إلى ذهني التساؤل مرة أخرى لماذا لم يترجم هذا الكتاب إلى العربية وقد ترجم إلى غالبية اللغات الحية >>.⁴

ثم نجد المجذوب يذكر السبب بعد اتصاله بزميله (كمال بشر)، الذي أخبره أن ترجمة هذا الكتاب صعبة، وقد حاول بشق الأنفس التمكن من ترجمته لكنه تعثر وتعسر عليه، إلا أنه رغم هذه الإعاقة جاهد واستمر من أجل الوصول إلى هذا الدرب، وقد

¹ ميشال أريفيه، البحث عن فردينان دوسوسير، ص 11.

² المرجع نفسه.

³ ف. دوسوسير، ترجمة إلى الإنجليزية واد باسكين، ترجمة إلى العربية أحمد نعيم الكرعين، فصول في علم اللغة

العام، ط1، اسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص3.

⁴ المرجع نفسه، ص4.

اعترف بأنه سوف يلحقه نقد شديد من قبل أعلام وباحثين لسانيين، لكنه يراه نقداً بناء مادام فيه تصحيح وتصويب للأخطاء المحتملة الوقوع فيها نتيجة نقص الفهم أو ما شابه ذلك.¹

ثانياً : أهم القضايا والأفكار السوسيرية المطروحة في الكتب العربية

إن المتصفح في الكتابات العربية وتصفح صفحاتها والبحث عن أفكار ومبادئ السوسورية يتبين له أنها تأخذ شكلين اثنين يسيران، مع بعضهما البعض متلازمين، ألا وهما: شكلٌ خصَّ بدي سوسير وحده فقط وبمسائله التي أتى بها، وشكلٌ آخرٌ مُنوعٌ من القضايا و المناهج والاتجاهات، فلم تأت مُخصَّصةً لعالم لساني ما أو لاتجاه مُعيَّن من الاتجاهات.

وأهم القضايا والمسائل اللغوية السوسيرية التي طُرحت في ثنايا هذه الكتابات العربية نذكر:

أ. أهمية علم اللغة التاريخي في تطوير الدراسات اللغوية: بيّن دوسوسير الدور الذي لعبه علم اللغة التاريخي، والجهود القيّمة التي بذلها اللغويون، وبه تقدمت الدراسات اللغوية في نظره، ولكن اهتمامه الكبير كان موجهاً إلى علم اللغة الوصفي أو لغة الكلام، وجعله محورا رئيسيا في دراساته.

وهذا الرأي نجده عند قول أحمد نعيم الكرعين: >> لقد قدّم دوسوسير لمحة عن تاريخ علم اللغة والجهود القيّمة التي قام بها بعض اللغويين المشهورين والذين كان لهم دور بارز من وجهة نظره في تقدم الدراسة اللغوية، ووجه اهتمامه إلى علم اللغة الوصفي أو لغة

¹ ينظر ف.دوسوسير، فصول في علم اللغة العام، ص 4.

الكلام واعتبر هذا موضوعه الرئيسي لأن الكلام هو اللغة بالفعل، لأن الناس تتعامل به <<¹.

ب. **اللسان واللغة والكلام:** وهذا المبدأ من أهم المبادئ التي ركز عليها دوسوسير، وعلينا أن نحدد ما يعنيه بالمصطلحات الثلاث؛ فالكلام هو << كل ما يلفظه أفراد مجتمع المعين؛ أي ما يختارونه من مفردات أو تراكيب ناتجة عما تقوم به أعضاء النطق من حركات مطلوبة >>².

أما اللغة فقد جاء تعريفها من طرف محمد حسن عبد العزيز في قوله: << فهي نظام من علامات وصيغ وقواعد، ينتقل من جيل إلى جيل، وليس له تحقق فعلي، لأن الناس لا يتكلمون القواعد، وإنما يتكلمون وفقا لها، وأقرب شيء إليها أنها تشبه السيمفونية على حين يشبه الكلام العزف على الآلات >>³.

أما اللسان في نظر دوسوسير فهو ظاهرة عامة تتمثل في العنصرين السابقين.⁴

لقد فصل دوسوسير بين اللغة والكلام، ووازن بينهما؛ فرأى أن اللغة لها ماهية اجتماعية، مستقلة عن وعي الفرد، إذن طابعها اللاوعي، كما أنها ثابتة لا تتغير أما الكلام فهو تحقيق عيني للغة، وهو إرادي يقوم به الفرد، لهذا فهو يتنوع بتنوع الأفراد.⁵ وقد مثل لهما بمعادلتين وهما:

¹ ف.دوسوسير، فصول في علم اللغة العام، ص 5 - 6.

² محمد حسن عبد العزيز، سوسيررئد علم اللغة الحديث، ط: بلا، القاهرة، دار الفكر العربي، 1989، ص 20.

³ المرجع نفسه.

⁴ المرجع نفسه.

⁵ ينظر الزواوي بغوره، المنهج البنوي - بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات -، ص 36.

- (١ + ١ + ١ + ...) --- <تمثل الكلام غير متجانس.

- (١ + ١ + ١ + ...) --- <تمثل اللغة متجانس.¹

وهذا الطابع اللاوعي للغة تحدث عنه محمود فهمي حجازي في قوله: >> وعلى هذا فالنظام اللغوي مستتر عند أفراد البيئة اللغوية في اللاوعي، ومهمة البحث اللغوي أن يستخرج تلك العناصر والعلاقات المكونة للنظام اللغوي <<.²

رأى دوسوسير أن موضوع علم اللغة هو اللغة؛ كون الكلام يتحقق في صور مختلفة لا يمكن حصرها، أما الطرق التي تبنى بها المفردات أو العبارات أو الجمل فيمكن حصرها ودراستها³؛ ومثال ذلك: >> كان أو إحدى أخواتها + اسم مرفوع + اسم منصوب. الشكل السابق نموذج (من اللغة). الشكل: كان المطر غزيراً؛ فجملة تأتي مطابقة له <<.⁴

وبمقدورنا أيضاً أن نأتي بأعداد غيرها لا حصر لها، من هنا يتضح اللبس وهو لا بد من دراسة هذه القواعد لا الجمل التي لا حصر لها، كما أن الجملة السابقة يمكن للأفراد نطقها بصور مختلفة، فلا حاجة لنا لدراسة هذه الاختلافات.

ج. **العلامة اللغوية:** وتصطح بمصطلحات أخرى مثل: الدليل اللغوي، أو الإشارة اللغوية، أو الرمز اللغوي، فكلها تصب في محيط مفهوماتي

¹ ينظر محمد حسن عبد العزيز، سوسير رائد علم اللغة الحديث، ص 24.

² المرجع نفسه، ص 36-37 نقلاً عن (أصول البنيوية في علم اللغة والدراسات الأنتولوجية)، في مجلة عالم الفكر وزارة الإعلام في الكويت، المجلد 3، العدد 1، 1976.

³ المرجع نفسه، ص 22.

⁴ المرجع نفسه.

واحد وهي أنها: >> وحدة مكونة من شكل يسمى الدال ومعنى يسمى المدلول <<.¹

يتضح من خلال هذا القول أن العلامة اللغوية هي كل يتكون من دال ومدلول لا ينفصلان أحدهما عن الآخر؛ فالدال يمثل الصورة السمعية (الصوتية)، والمدلول يمثل الصورة الذهنية، وباقتران الصورتين تتم عملية الفهم. وهذا ما نجده في قول أحمد محمد قدور: >> ذهب دوسوسير إلى استعمال مصطلح (Signe) أي رمز أو علامة للدلالة على (الكلمة) لفظاً ومعنى. والرمز اللغوي له وجهان لا ينفصل أحدهما عن الآخر، هما الدال (Signifiant) وهو الصورة الصوتية، والمدلول (Signifie)، وهو الصورة المفهومية التي تعبر عن المتصور الذهني الذي يحيلنا إليه الدال. وتتم الدلالة (Signification) باقتران الصورتين الصوتية والذهنية وبحصولهما يتم الفهم <<.²

إذن العنصران الدال والمدلول وحدة متألّفة ، كل منهما يستدعي الآخر، وللعلامة علاقة ذهنية ولا تربط اسماً بشيء كما كان في اعتقاد الذين من قبله من اللغويين. ولتوضيح هذا المفهوم نسوق أمثلة بالعربية لتتضح لنا الإشكالية أكثر؛ إن العلامة (القلم) يمكن النظر إليها من جانبين:

- جانب مادي: وهو على شقين؛ الموجود الخارجي و اللفظ المنطوق.

¹ مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، ط1، صيدا بيروت، المكتبة العصرية، 1998، ص 9 .

² أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ط1، دمشق، دار الفكر، 1996، ص 21.

- جانب ذهني: وهو أيضا على شقين؛ مفهوم أو الصورة الذهنية للموجود الذي يشار إليه بلفظ (قلم)، وصورة سمعية أو صورة اللفظ.

إذن العلامة اللغوية صورة ذهنية مركبة من المفهوم والصورة السمعية، ولا يمكن الفصل بينهما؛ فهما كصفحة من الورق؛ محال قطع وجها منها دون قطع الوجه الآخر، والعلاقة متبادلة بين الطرفين؛ فأحدهما يستدعي الآخر. أما الجانب المادي فقد استبعده دوسوسير.¹

وأشار دوسوسير إلى أن العلاقة بين الدال والمدلول اعتبارية عرفية؛ فمثلا فكرة الأخت لا ترتبط بأية علاقة داخلية بتتابع الأصوات، وخير دليل؛ تلك اللغات التي تستخدم اشارات مختلفة.²

د. **النظرة الوصفية والنظرة التاريخية:** إن المتأمل لعلم اللغة في العهدين الحديث والقديم يتبين له ميزة كل منهما؛ فالعهد الحديث تعدّ الدراسات اللغوية فيه وصفية؛ قائمة على الملاحظة المباشرة للظواهر اللغوية، في فترة زمنية محددة، وفي مكان محدد، عكس العهد القديم الذي كانت الدراسات فيه غير وصفية.³

وليوضح سوسير للغويين الفرق بين المنهجين الوصفي والتاريخي ذهب إلى أنه ما يخص الجانب الثابت للعلم فهو وصفي، وكل ما له علاقة بالتطور فهو تاريخي.⁴

¹ ينظر محمد حسن عبد العزيز ، سوسير رائد علم اللغة الحديث ، ص 26 - 28.

² ينظر علم اللغة العام، ترجمة بوئيل يوسف عزيز، مراجعة مالك يوسف المطلبي، ط 1، الأعظمية - بغداد، دار آفاق عربية، 1984، ص 87.

³ ينظر محمد حسن عبد العزيز، سوسير رائد علم اللغة الحديث، ص 44.

⁴ المرجع نفسه، ص 46.

هـ. **ثنائية المحور الاستبدالي والمحور النظمي:** لقد اهتدى دوسوسير بعد فحصه للغة وتحليلها إلى أنها قائمة على مجموعتين اثنتين؛ مجموعة استبدالية ومجموعة نظامية؛ فالأولى موجودة في الذهن أما الثانية فهي حاضرة في الجملة¹؛ فإليك الأمثلة: فمثلا إذا قلت الجو جميل فقد استحضرت هاتين الكلمتين في الجملة، فهي حضورية، وللجو أو للجميل مرادفات كثيرة فالجو مرادفاته المناخ، الطقس، الإقليم...الخ. وجميل مرادفاته هي: حسن، أنيق...الخ. إذن فهي جملة من الترابطات لمختلف العلاقات قد تشترك في الدلالة وقد تعكسها. وهي تقوم على علاقة الغياب.

هذه أهم القضايا التي نقلها علماء العرب والباحثون من كتاب محاضرات علم اللغة العام لدوسوسير إلى كتاباتهم العربية، لكن بدرجات متفاوتة، وبأشكال مختلفة ومتعددة .

ثالثا : بعض نماذج الكتابات العربية المتناولة لآراء وأفكار دوسوسير

سبق وأن قلنا أن علماءنا العرب وباحثينا اتَّصلوا بالغرب وتأثروا بدراساتهم اللُّغويَّة فطرحوا في كتاباتهم قضاياهم ومسائلهم اللسانية المتعددة؛ فمنها ما هي وصفية ومنها ما هي غير ذلك، وتكاد هذه الدراسات لا تخلو من أفكار وآراء ووجهات نظر دوسوسير ، ولكن هذه الكتابات العربية تختلف من حيث توظيف لنظريات دوسوسير كما وكيفا ونوعا وإليك عناوين هذه الكتب وأهم القضايا السوسورية المطروحة.

أ. **نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي للمؤلف عبد الناصر حسن محمد:** الذي أشار إلى دوسوسير في الفصل الثاني تحديدا في النظريات البنيوية، الذي ذهب

¹ ينظر أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 22.

إلى أن دوسوسير هو الممهد الأول لنشأة البنيوية، وذلك لما وصف اللغة بأنها >> نسق من الإشارات التي يصدرها الإنسان بصوته، ومنذ أن أخذ في البحث عن طبيعة الإشارة، وكونها اعتباطية مفرقا بين الدال والمدلول من ناحية وناظرا للعلامة بوصفها الكل الذي يتركب منه الدال والمدلول من ناحية أخرى، ثم تفريقه بعد ذلك بين اللغة ... والكلام ... من حيث كون الأولى المخزون الذهني للجماعة البشرية، والكلام من حيث هو اختيار المتحدث لبعض هذا المخزون من أجل التعبير عن فكرة أو رسالة <<¹.

ولكن عبد الناصر لم يقف عند هذا الحد في قوله بل استمر إلى قوله: >> ممتدا بذلك إلى تفريقه بين الآنية ... من حيث هي دراسة اللغة بوصفها نظاما في عصر ما وبين التعاقبية ... من حيث هي دراسة اللغة حسب تطوراتها وتحولاتها التاريخية <<².

يتبين لنا من خلال السنين السابقين أن دوسوسير لعب دورا مهما في مجال الألسنية، وقد شكلت أفكاره محورا أساسيا ونموذجا علميا بالنسبة للبنيوية، فهو ممهد ونقطة الانطلاق للنظريات البنيوية وخاصة لما اعتبر اللغة نسق ونظام من العلامات، وهذا النظام عام يسير وفق شروط عقلية غير واعية، وهذا نفسه ما ذهب إليه شتراوس لما اكتشف أن الأنظمة الأنثروبولوجية أنظمة عامة، اللاشعورية متواجدة لدى الشعوب. وأيضا من الأفكار التي أثرت في البنيوية تلك الثنائيات التي أتى بها سوسير للفصل فيما بين كل ثنائية والمتمثلة في: اللغة والكلام، الدال والمدلول والعلاقة التي تربطهما، وأيضا ثنائية الوصفية والتاريخية... وغيرها من الثنائيات والقضايا.

¹ عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، ط: بلا، المنيل - القاهرة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 1999، ص 29.

² المرجع نفسه.

ب. **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي للمؤلف محمود السعران:** الذي طرح عدة قضايا لغوية متنوعة ومختلفة، فقد مزج بين ما هو وصفي وما هو تاريخي أو مقارن، وطرحه لم يأت منظماً، لكن يكفي أنه أتى ولو ضمناً بأفكار دوسوسير.
لقد جاء بتعريف سوسير لعلم اللغة الذي عرفه بأنه >> موضوع علم اللغة الوحيد والصحيح هو اللغة معتبرة في ذاتها ومن أجل ذاتها <<. ثم قام بتحليل وشرح هذا التعريف وقسمه شقين الشق الأول دراسة اللغة لذاته؛ أي دراسة لغة من حيث أنها لغة، وأنها نظام اجتماعي، وذات وظيفة إنسانية. أما في ذاتها فيعني دراسة اللغة كما هي دون التغيير فيها أو القصر استحساناً لها أو استهجاناً.²

وتناول أيضاً محمود السعران مسألة عملية الكلام والتي هي عبارة عن إصدار الأصوات عند النطق بها والقيام بجهود عضلية كثيرة. أما استقبال أصوات هو انتقالها في الهواء إلى أذن السامع وقيامه بعدئذ بجهود عقلية لفهم تلك المعاني المتسترة في الكلمات، وإذا نطق السامع بالدورة الكلامية تتخذ اتجاهها معاكساً... وبعدئذ يميز المؤلف بين ثلاثة أقسام في عملية الكلام وهي الفيزيولوجية والفيزيائية واستقبال السامع للصوت.³

ج. **مشكلة البنية للمؤلف زكريا إبراهيم:** الذي عقد فصلاً تناول فيه محوري الدراسة الزمنية واللازمية عند دوسوسير.

د. **الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشرحية - نظرية وتطبيق - للمؤلف عبد الله الغدامي:** الذي أشار إلى أن دوسوسير لعب دوراً كبيراً في ظهور الاتجاه البنوي من خلال الأسس والمبادئ التي أتى بها؛ وتتمثل في: تعريفه للغة في

¹ محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ط: بلا، بيروت، دار النهضة العربية، ص 49.

² المرجع نفسه، ص 49 - 51.

³ المرجع نفسه، ص 85 - 100.

قوله: >> على أنها نظام من الإشارات وهذه الإشارات هي أصوات تصدر من الإنسان ولا تكون بذات القيمة إلا إذا كان صدورها للتعبير عن فكرة أو توصيلها <<¹. ثم بين عبد الله الغدامي نظرة دوسوسير للعلامة اللغوية المكونة من عنصرين، الدال والمدلول، والعلاقة بينهما اعتبارية قائمة على التواطؤ العرفي.

كما أشار إلى أن خصائص العلامات اللغوية لا تتحدد إلا عن طريق التمايز؛ أي التقابل بين تلك العناصر والبحث عن السمات الخلفية التي تميزها عن غيرها، ولتوضيح هذه النقطة قام بتقديم أمثلة بالعربية كقوله: >> فكلمة (ضلالة) صارت ذات معنى ليس لشيء في ذاتها ولكن لوجود (الهداية)، فبضدها تتبين الأشياء. ولولا (السواد) لما عرفنا (البياض) <<².

ما قيل عن الكلمات تقال عن الأصوات؛ فدلالة الكلمات تتحدد من خلال تمايز في الأصوات؛ أي مخالفتها³، وإليك القول المقتطف من كتاب الخطيئة والتكفير للغدامي: >> وكذلك من حيث تميز الصوت، (فالضلال) تتميز فيها الضاد وتصبح أساسية في دلالتها لوجود مخالفتها (الضلال)، فالكلمة والصوت يدلان إذا تميز أو اختلفا عن سواهما، وهذا ما جعل سوسير ينظر إلى اللغة على أنها (نظام من الاختلافات) <<⁴.

وبعد مسألة الخلافات بين الأصوات والكلمات ودورها في تحديد دلالاتها وتمايزها فيما بينها، طرح مسألة سوسورية جديدة تمثلت في الثنائية بين اللغة والخطاب، في قوله: >> فاللغة هي المخزون الذهني الذي تمتلكه الجماعة بينما

¹ عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشرحية، نظرية وتطبيق)، ط 6، الدار البيضاء - المغرب، الناشر المركز الثقافي العربي، 2006، ص 30.

² المرجع نفسه.

³ المرجع نفسه، ص 31.

⁴ المرجع نفسه.

(الخطاب) هو ما يختاره المتحدث من ذلك المخزون الذهني الذي تمتلكه الجماعة ليعبر به عن فكرته أو رسالة حسب عناصر الرسالة >>¹.

كما طرح ثنائية الآنية والتعاقبية؛ فالآنية تدرس اللغة في عصر محدد، أما التعاقبية فدراسة اللغة حسب تمددها التاريخي.²

ولم يتوقف عبد الله الغدامي عند هذا الحد في عرضه لأفكار دوسوسير بل امتد إلى ثنائية علاقات التأليف والاختيار والذي ذهب إلى القول أن: >> قيمة الصوت أو الكلمة أو الوحدة ليست في ذات أي واحدة منها، ولكن فيما تؤديه من وظيفة تنشئها العلاقة فيما بينها وبين سواها من الأصوات والكلمات أو من علاقتها مع محيطها، وعلى هذا يكون لدينا نوعان من العلاقات: علاقات داخل الوحدة، وعلاقات خارجها، فالتى من الداخل هي علاقات التأليف والاختيار- كما نقلنا عن سوسير >>³.

هنا في هذا النص يُبيّن لنا الغدامي قيمة الصوت والكلمة؛ والتي لا تتحدد قيمتها في ذاتها إلا بعد دخولها في التركيب، وفي العلاقات فيما بينها التي تنشئها تلك الأصوات والكلمات، كما أن هناك نوعان من العلاقات علاقات داخل الوحدة وعلاقات خارجها، والتي تمثل التأليف والاختيار هي تلك العلاقات التي من الداخل.

وعلاقات التأليف هي تلك التي تعتمد على التجاور بين الوحدات المؤلفة، بالتبادل بين العناصر اللغوية أو بالتناظر مما يجعل التأليف ممكناً أو غير ممكن؛ فمثلاً كلمة جاء تتألف مع كلمة الرجل فنقول جاء الرجل، أما تجاور كلمة جاء مع كلمة غاب غير ممكن فالصلة هنا تناظر، والتجاور قد يكون لاحقاً أو سابقاً،

¹ ينظر عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشريحية ، نظرية وتطبيق)، ص 31.

² المرجع نفسه.

³ المرجع نفسه ، ص 35-36.

وهذه العلاقة تقوم على (المغايرة)، فكل كلمة مغايرة لأخرى، والأمر الجامع بينهما هو التجاور وسمتها الحضور؛ أي حاضرة في الجملة.¹

أما الاختيار فهي علاقات غياب؛ فكل كلمة أو لفظة في جملة هي اختيار من سلسلة من الكلمات، وهذه السلسلة المتتالية من الكلمات قد تكون متشابهة، والتشابه درجات؛ تشابه تام متفق مع اختلاف المعنى كالمشترك اللفظي في قولنا العين و العين، وتشابه تام مخالف مثل: الشمل والشمال، وتشابه ناقص: كالعظيم والعليم. كما قد يكون التشابه على مستوى الدلالة دون اللفظ مثل: السهم والقوس. وأيضا السلسلة المتتالية من الكلمات قد تكون متضادة مثل البياض والسواد.²

رابعا : البنيوية السوسيرية في البحوث العربية القديمة (التراثية).

إن المتأمل في الكتابات التراثية العربية والبحث فيها عن النظرية السوسيرية، وعن أفكاره ومبادئه اللغوية يتبين لنا أنها بدأت وصفية ثم انتهت إلى المعيارية بعد القرون الهجرية الأربعة، حيث اعتمدت في بداياتها على مبدأ استقرار المادة اللغوية بالسماع والمشاهدة، ثم استتبعت منها قواعد عامة، ويلاحظ هذا النحاة الأوائل ك: الخليل وسيبويه والكسائي، ومن عاش قبلهم ومن جاء بعدهم بقليل.

هؤلاء اللغويون جمعوا نماذج كثيرة من نصوص اللغة، فتأملونها، واستقروا تراكيبها والعلاقات التي تربط كل وحدة بوحدات أخرى من أخواتها، وبعدئذ قاموا بوضع مصطلحات لها بعد عمليات التصنيف مثل: الفعل والفاعل و المفعول به وهكذا...³ وهذا ما ذهب إليه تمام حسان في قوله: >> إن تاريخ دراسة اللغة العربية ليعرض علينا في بدايته محاولة جديّة لإنشاء منهج وصفي في دراسة اللغة، يقوم على

¹ عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشريحية ، نظرية وتطبيق)، ص 36.

² المرجع نفسه ص 36-37.

³ ينظرنوزاد حسن أحمد، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، ط1، بن غازي، دار الكتب الوطنية، 1996، ص 35.

جمع اللغة ورواياتها، ثم ملاحظة المادة المجموعة واستقرائها، والخروج بعد ذلك بنتائج لها طبيعة الوصف اللغوي السليم >>¹.

هذه الخطوات هي نفسها التي قام بها دوسوسير ودعا الباحثين اللغويين إلى التزامها وتطبيقها في بحوثاتهم اللغوية .

هناك كثيرون اتهموا التراث العربي اللغوي بالزيف والنقصان وخلوه من المنهج، لكن هذا الرأي ما بصحيح؛ لأنه ظلم في حق علمائنا، لكن لو تصفحت بفكرك صفحات كتابتهم وبحثت عن النظريات اللغوية الحديثة وخاصة آراء وأفكار سوسيرية لأقريت ذلك.

يقول نوزاد حسن أحمد: >> وقد أدرك علماء اللغة الأوائل هذه الحقيقة في دراساتهم فاستندوا إلى منهج علمي صائب لاستكناه حقيقة اللغة، واستنباط أصولها >>². ثم يستدل بقول آخر في قوله: >> وقد أشار (جومسكي) إلى جهود علماء اللغة العرب ووصفها ... بأنها بعيدة عن متاهات الفلسفة، التي تضي على البحث اللغوي صفة الخيال >>³.

نعرض الآن موازنة اللسانيين المحدثين بين دوسوسير بنحاة العرب القدامى، وإليك التفصيل:

1. **سيبويه**: ويظهر نقاط التلاقي بين سيبويه و دوسوسير فيما يلي :

أ. **السماع**: يعرف السماع بأنه: >> الأخذ المباشر للمادة اللغوية عن الناطقين

بها >>⁴. وهذا المبدأ يقوم به المنهج الوصفي، وهو إحدى خطواته، وقد

¹ تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ط 4، القاهرة، عالم الكتب، 2001، ص 28.

² المرجع نفسه، ص 36.

³ نوزاد حسن أحمد، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، ص 36.

⁴ المرجع نفسه، ص 37، نقلا عن أصول التفكير النحوي، ص 22.

اعتمد عليه علماء اللغة الأوائل، وتتنوعت مصادر السماع عند سيبويه بين الأخذ المباشر من أفواه العرب، أو السماع عن طريق شيوخه، وقد ربط سيبويه السماع بشرطين لا يقوم إلا بهما، وهما: الفصاحة والثقة؛ وإليك بعض أمثلة منها مأخوذة من كتابه << هكذا سمع من العرب تنشده >>¹، << سمعنا بعض العرب الموثوق بهم >>².

ب. **اللغة والكلام:** دوسوسير ميز بين اللغة والكلام، نجد سيبويه أيضا قد ميز بينهما وبذلك يكون قد سبق سوسير في هذا، ويرى سيبويه أن اللغة يبرز وجودها من خلال الاستعمال، أي التداول الفعلي لها، واتضح ذلك من خلال مجموعة من العبارات كان يستخدمها كل حين ويكررها في قضاياها اللغوية كقوله: (وإن كانوا لم يستعملوا في كلامهم ذلك). إذن فالكلام عنده يجب أن يوافق النظام الذي في عقول أفراد المجتمع اللغوي.

ج. **وحدة الزمان والمكان:** دعا سوسير إلى دراسة اللغة دراسة وصفية تزامنية، وهذا المبدأ نفسه نجده عند اللغويين العرب الأوائل فهم اقتصرُوا في استقراء المادة اللغوية على زمن فقد انتهى بإبراهيم بن هرمة، أو بشار بن برد، وبدايتها لم تتبع اللغة العربية التطور التاريخي للظواهر اللغوية، وكتاب سيبويه قد خلت دراساته اللغوية فيه من هذا النمط من البحث لأن منهجه وصفي.³

¹ سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنن، تحقيق عبد السلام محمد هارون)، الكتاب، ط 3، القاهرة، الناشر مكتبة الخانجي، 1977، ج1، ص 139.

² المرجع نفسه، ص 224.

³ نوزاد حسن أحمد، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، ص 49.

2. عبد القاهر الجرجاني: لقد كان مفكرا نحويا عظيما فله مذهب يثبت مدى

عبقريته فهو يشبه مذهب دوسوسير.¹ وأهم النقاط التي شابهه فيها ما يلي:

أ. **اللغة علاقات من الألفاظ:** بفضل فطنته اهتدى إلى أن اللغة ليست مجرد

ألفاظ ننطقها أو نتلفظ بها، بل هي عبارة عن علاقات بتجاور وتآلف هذه

الوحدات اللغوية بعضها بعضا وهذا ما ذهب إليه محمد مندور في قوله:

>> لقد فطن عبد القاهر إلى أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ، بل

مجموعة من العلاقات <<.²

ولقد أتى بنص عبد القاهر اقتطفه من كتابه دلائل الإعجاز؛ ليثبت

به نقطة التقاء بين فكر الجرجاني ومفاهيم دوسوسير ويقول فيه:

>> اعلم أن هنا أصلا أنت ترى الناس فيه في صورة من يعرف من

جانب وينكر من آخر، وهو أن الألفاظ المفردة التي من أوضاع اللغة، لم

توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض

فيعرف فيما بينها فوائد <<.³

هنا في هذا النص يبين لنا الجرجاني أن المعنى لا يتحدد من ألفاظ

وهي مفردة، بل في هذه الحالة لا قيمة لها، فقيمتها تكون بتجاورها مع

بعضها البعض، ومركبة.

¹ محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، ط: بلا، القاهرة - مصر، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1996، ص 333 - 334.

² المرجع نفسه، ص 334.

³ المرجع نفسه، نقلا عن الجرجاني، كتاب دلائل الإعجاز.

وهذا ما ذهب إليه صالح بلعيد في قوله: >> وقد رأينا الإمام الجرجاني يبرز الصلات القائمة بين الكلمات التي تؤلف الجملة، ويهتم بالعلاقات القائمة بصورة متبادلة بين وحدات الكلام، وهذا ما أكده في النظم إجمالاً <<¹.

ب. **وظيفة اللغة:** دوسوسير رأى أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وأن وظيفتها الأساسية التبليغ والتواصل، حتى الجرجاني تطرق إلى هذه النظرة ويقول فيه صالح بلعيد في هذا السياق: >> الهدف من اللغة ليس إعلام السامع بمعاني المفردات، ومعاني الكلام تقوم على الإخبار والنفي، أي أن اللغة وضعت من أجل التواصل فهي ظاهرة اجتماعية لا فردية <<².

ج. **الألفاظ رموز للمعاني:** اعتبر دوسوسير الألفاظ رموز للمعاني وهذا يطابق رأي جرجاني الذي رأى أن الألفاظ أوعية للمعاني، فهو يكون قد ربط بين المعنى بالفكر.³

د. **العلامة اللغوية:** تناول سوسير العلامة وهي تتكون من الدال والمدلول والعلاقة بينهما اعتباطية، فالدال عنده كل ما هو منطوق، أما المدلول فهو التصور، لكن هناك من سبق سوسير في هذه النظرية ألا وهو الجرجاني؛ الذي ذهب إلى أن لا معنى للعلامة أو السمة حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلاً عليه.

أما العلاقة الاعتباطية عند الجرجاني نبصرها في المثال الذي قدمه وساقه للقارئ وهو مقلوب ضرب الذي لا دلالة له بالأصل الذي وضع له، فهو فساد للمعنى.⁴

¹ صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ط: بلا، بن عكنون - الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 214.

² المرجع نفسه.

³ المرجع نفسه، ص 217.

⁴ المرجع نفسه، ص 218.

و. **علاقة الانتظام:** لقد تحدث سوسير عن علاقة الانتظام القائمة بين الوحدات اللغوية في محور التوزيع¹ وأن الكلمة المفردة لا قيمة لها إلا بتجاورها مع الكلمات الأخرى، وكذلك أشار إليها الجرجاني في قوله: >> ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض. والكلم ثلاث: اسم، وفعل، وحرف. وللتعليق فيما بينها طرق معلومة وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما <<².

يتضح من خلال هذا القول أن عبد القاهر الجرجاني قد سبق دوسوسير في فكرة علاقة الانتظام القائمة بين الوحدات، كما أنه حدد أصناف هذه العلاقات باعتماده على أنواع الكلم؛ فأصناف الانتظام للوحدات على محور التوزيع يتوقف عند ثلاثة أصناف: اسم باسم الذي قد يكون خبراً أو حالاً أو تابعاً أو مضافاً إلى الثاني..الخ، والصنف الثاني هو اسم بالفعل قد يكون فاعلاً أو مفعولاً به أو مصدرًا...الخ، وأخيراً الحرف بأحدهما؛ ويكون بطرق ثلاث؛ بتوسطه بين الاسم والفعل، أو بتعلق الحرف بما يتعلق به، تعلق بمجموع الجملة.³

خلاصة:-

وخلاصة هذا المبحث أن دوسوسير يمثل الحجر الأساس للدراسات اللغوية الحديثة، فقد غير طبيعة دراسة اللغة القائمة على المنهج التاريخي المقارن والمعتمدة

¹ مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ط1، دار الورد الأردنية، 2013، ص 232.

² الجرجاني(أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد)، تعليق أبو فهر محمود محمد شاكر، دلائل الإعجاز، ط: بلا، القاهرة، الناشر مكتبة الخانجي، ص 4.

³ المرجع نفسه، ص 4 - 6.

على الطابع المعياري إلى منهج وصفي قائم على ملاحظة ظواهر اللغة ملاحظة وصفية موضوعية بعيدة عن المؤثرات الخارجية.

وقد أتى دوسوسير بأفكار ومبادئ جديدة جمعها تلميذاه شارل بالي وألبار في كتاب بعنوان؛ محاضرات في اللسانيات العامة.

وقد كان لهذا الكتاب دور عظيم وقيمة كبيرة؛ وتتجلى قيمته في اهتمام العلماء والباحثين به وترجمتهم له إلى لغاتهم. فقد أخذت العربية نصيبها منه.

وأثر أفكار ومبادئ دوسوسير بارز كثيرا في الكتابات العربية؛ وبأشكال وأساليب متنوعة ومتفاوتة؛ فمنهم من اكتفى بعملية النقل الحرفي لمفاهيم دوسوسير، ومنهم من اختار بعض من قضاياها ومسائله اللغوية وضمناها في كتاباته، ومنهم من نظر وطبق على العربية في آن واحد، وهناك من عاد إلى التراث وقارن بين فكر دوسوسير وفكر أعلام العرب فاستنبط من هذين الفكرين نقاط المقاربة والمشاركة بينهما.

ومن القضايا التي أخذها العرب عن دوسوسير هو موضوع اللغة؛ فقد نادى إلى دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها، كما قام بتعريف اللغة بأنها نظام من العلامات المخزنة في ذهن الفرد، ينتقي البعض منها أثناء عملية تواصله مع بني جنسه.

وأشهر نظرية جاء بها هي الثنائيات؛ والمتمثلة في تلك التقابلات بين المسائل اللغوية كـ ثنائية اللغة والكلام، وثنائية الدال والمدلول، وأيضا الوصفية والتعاقبية، وثنائية المحور والتوزيع وغيرها من الثنائيات.

ولم يقف باحثو العرب عند حد نقل أفكار ومبادئ دوسوسير، بل تجاوزوه إلى تطبيقها على لغتهم العربية. وقد أخذنا نماذج عنها عند الحديث عن معالمها في الكتابات العربية.

وأيضاً قام لسانيو التراث بالعودة بأفكار ومبادئ التي أرساها دوسوسير إلى كتب العرب القدامى؛ وذلك بالمقارنة بين الفكر العربي والفكر السوسري وقد تبين لهم أن العرب كانوا سبّاقين إلى مثل هاته النظريات فقد أثبتوا حضورها في التراث؛ ومن أمثالهم سيبويه وابن جني والجرجاني وابن خلدون وغيرهم فهم كثيرون لا يمكن حصرهم.

المبحث الثاني : البنوية الوظيفية في الدراسات العربية

اتخذ البحث اللساني مناحي متعددة من أبرزها المنحى الوظيفي، وهو يختلف عن المدرسة البنوية، ورغم هذا الاختلاف في كثير من القضايا إلا أنه يمثل فرعاً منها، كما أنه خرج عن المبادئ التي أرساها دوسوسير، لكن هذا لا يعني أنه ما من علاقة تربطه به، بل إن لـ (كتاب محاضرات في اللسانيات العامة) - الذي أخرجه تلميذاه للناس باسم دوسوسير بعد وفاته - أثراً مباشراً في ظهور البنوية الوظيفية، حتى بلغ أوجّه واستوى على سوقه في الثلاثينات.

وفي هذا المقام يقول محمد يونس علي: >> على الرغم من اختلاف المدرسة الوظيفية ... عن المدرسة البنوية في كثير من القضايا فإنها مثلها في ذلك مثل المدرسة التوليدية تمثل اتجاهاً متفرعاً عن البنوية <<¹. ويقول أيضاً أحمد مومن عن أثر كتاب دوسوسير في الوظيفية: >> ومما لا مرية فيه أن مؤلف دي سوسير (محاضرات في اللسانيات العامة) كان له أثر كبير على بزوغ هذا النادي اللساني... وما اللسانيات الوظيفية؛ إلا فرع من فروع البنوية <<². وهذا الاتجاه ضم عدداً ضخماً من الباحثين من مختلف المناطق، ومتخصصين في مجال اللسانيات؛ كرسفسكي، وجاكوبسون، ونيقولا تروبسكوي وغيرهم ويرى هذا الاتجاه أن البنية النحوية والدلالية والفونولوجية

¹ محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص 69 - 70.

² أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 136.

تحدد بالوظائف المختلفة التي تقوم بها في المجتمع¹، وعزلها عن محيطها لا يحقق أي تواصل ومقاصد التعبير، واعتبروا اللغة بأنها واقع اجتماعي².

فقد انطلق التيار الوظيفي من حلقة براغ في الثلاثينات من القرن العشرين، ثم أخذ يقطع أشواطاً، ويتخلل الاتجاهات اللسانية الأخرى؛ ففي أوروبا وأمريكا ظهرت مدرستا براغ ولندن الوظيفيتان، وامتدتا حتى السبعينات، وبين أحضان تيار التوليدي التحويلي ظهرت نظريات وظيفية مثل: البركمانتكس، والتركيبات الوظيفية، ونظريتنا التركيب الوظيفي، والنحو الوظيفي من خارجها في نهاية السبعينات من جهة أخرى³.

ولقد أدى بالاتجاه الوظيفي في الزحف إلى مناطق العالم، وكان للوطن العربي له نصيب في ذلك، لما اتصل الدارسون العرب والباحثون بالغرب، ووقفوا أمام مؤلفات أعلامهم وبحوثهم اللغوية، وجدوا أنفسهم أمام اتجاهات متعددة، فشرعوا بتصفحها، وقلب صفحاتها، ثم أخذوا يترجمون لنا تلك النظريات، والاتجاهات، والآراء الفكرية التي طرحوها. وما زالوا حتى الآن في عملية النقل. ومن بين الاتجاهات التي نقلوها إلينا؛ البنيوية الوظيفية. وإنا نلاحظ أنه من هؤلاء الأعلام منهم من كان مجرد ناقل لتلك الأفكار وتطبيقها على العربية، ومنهم من لم يقف عند حد النقل؛ بل تجاوزوه ليصل بهم إلى إسقاط تلك الأفكار على تراثهم، والموازنة بينهما للوصول إلى نقاط التماثل بين الفكرين أو بالقول إلى أن العرب كانوا سباقين لذلك.

ويقول سرحان: >> وقد دخلت هذه النظرية الوطن العربي أول مرة عبر جامعة محمد الخامس في الرباط...وقد تم ذلك بأربع طرق رئيسية هي: التدريس، والبحث الأكاديمي والنشر...وكان المغرب جسراً لعبور النحو الوظيفي إلى أقطار عربية

¹ ينظر أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 136.

² ينظر عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، ط: بلا، عمان، دار ومكتبة الحامد، 2013، ص 69.

³ ينظر يحيى بعيطش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة منتوري قسنطينة، 2005،

2006-، ص 40-41.

أخرى... دخل الجزائر وتونس، وموريتانيا، والعراق، وسورية، وبعض بلدان الخليج، كالإمارات العربية والعربية السعودية <1>.

أولاً: أهم المسائل اللغوية الوظيفية المطروحة في الكتابات العربية الحديثة

إن المسائل والقضايا اللغوية الوظيفية التي طُرحت في الكتب العربية موزعة بين مستويات مختلفة؛ الصوتية والصرفية والتركيبية، وهي تتمثل فيما يلي:

أ- **المسألة الأولى:** الصوتيات الوظيفية؛ وهذا الفرع يقوم بدراسة المعنى الوظيفي للنمط الصوتي، داخل نظام اللغة² ومؤسسها نيقولا تروبتسكوي³. يقول ميشال زكريا في تعريفه للفونولوجيا؛ أي الصوتيات الوظيفية: <> مجموع الدراسات التي تبحث في تنظيمات الفونومات الخاصة باللغات المعروفة <>⁴.

والصوتيات الوظيفية محورها الدراسي فيها الصوتم أو الفونيم وهو أصغر وحدة صوتية تساعد باحث اللغة على التفريق والتمييز بين المعاني، وهو نوعان؛ فونيم قطعي: ويضم كل الصوائت والصوامت، وفونيم فوققطعي: ويشمل الفاصل والنغم والنبرة وطول الصوت.⁵

ويجب التمييز بين العلمين الصوتيات والصوتيات الوظيفية، ولقد جاء هذا التمييز بين الباحثين العرب ويقول أحمد مومن: <> وينبغي ها هنا أن لا يخلط الدارسون بين الصوتيات والصوتيات الوظيفية. فالصوتيات: فرع من اللسانيات

¹ هيثم سرحان، آفاق اللسانيات، ط 1، بيروت - لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، 2011، ص 34.

² ينظر أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 137.

³ ينظر الزواوي بغورة، المنهج البنوي بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، ص 43.

⁴ ميشال زكريا، الألسنية - علم اللغة الحديث - المبادئ والأعلام، ط 2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1985، ص 143.

⁵ ينظر أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 137.

قوامه دراسة الأصوات الكلامية من حيث نطقها وتمثيلها وتوزيعها. وتنقسم إلى ثلاثة فروع رئيسية: الصوتيات النطقية ... والصوتيات السمعية ... والصوتيات الفيزيائية ... هناك فروع أخرى لا تحتاج إلى تفصيل <<¹.

إذن هناك فرق بين علمي: الصوتيات والصوتيات الوظيفية؛ فالأول يهتم بدراسة خصائص الصوت من حيث مخرجه من الجهاز النطقي، وما يعتره من ضيق، واتساع الهواء، ثم انتقاله إلى الخارج، والعمليات التي تقوم بها أذن المتلقي حين التقاط ذلك الصوت، و يراعي أيضا صفاته من همس، وجهر، وإطباق ... الخ. أما الصوتيات الوظيفية فهي عكس ذلك؛ إنها تبحث عن المعنى باستعمال مبدأ التقابل للتمايز بين الأصوات.

ونجد أيضا ميشال زكريا يميز بين العلمين؛ فالصوتيات الوظيفية سبق وأن عرفه، أما الصوتيات؛ فهو علم يختلف عن علم الفونولوجيا ويقول في هذا المقام: << مجموع الدراسات التي تعالج أصوات اللغة وكيفية النطق بها وطبيعتها الفيزيائية >>².

لكن الملفت للنظر أن من العرب من ألف كتباً في علم الفونولوجيا، مثل التشكيل الصوتي في اللغة العربية - فونولوجيا العربية - حيث ركز صاحبه فيه على جانب واحد من اللغة وهو الصوت، وقام بالتمييز بين العلمين الفونيتيك والفونولوجيا³؛ فقد قام بحصر عدد أصوات اللغة العربية في ثمانية وعشرين حرفاً، واعتبرها صوامتاً، وعد الحركات القصيرة (ضمة وفتحة وكسرة)،

¹ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 137.

² ميشال زكريا، الأسنوية - علم اللغة الحديث - المبادئ والأعلام، ص 209.

³ ينظر سلمان حسن العاني، ترجمة ياسر الملاح، مراجعة محمد محمود غالي، ط 1، جدة - المملكة العربية

السعودية، النادي الأدبي الثقافي، 1983م، ص 49

والحركات الطويلة والمتمثل في حروف المد والعلّة (ا ، و ، ي) صوائتا. ويقول: << في اللغة العربية تسعة وعشرون فونيمًا ساكنًا >>¹.

والبنوية الوظيفية اهتمت اهتمامًا كبيرًا بالمصطلحات، مثل الفونيم؛ حيث إذا تغيرت الدلالة بتغيير الأصوات يكون هذا فونيمًا، أما إذا لم يحدث هناك تغيير في الدلالة حين تغيير الصوت، فهو ليس فونيمًا.²

وأيضًا اعتنت بمصطلح الألفون حيث حرف واحد يظهر له عدة أصوات حين النطق به دون تغيير في الدلالة. وهذا ما نجده في قول ياسر الملاح: << عندما يوجد صوت مفخم ساكن في مقطع ما، فإن جميع المقطع يصبح مفخمًا ومن الممكن أن يجعل هذا جميع أوفونات الفونيمات متأثرة ببيئته الصوتية >>³. ويقول أيضًا: << ظاهرة التفخيم ليست محصورة في حدود المقطع ولكنها قد تؤثر أو لا تؤثر في المقطع المجاور ويجعل هذا الفونيمات المجاورة السابقة للمفخم أو التالية له في تغيير دائم أي مفخمة حينًا وغير مفخمة حينًا آخر >>⁴.

ونجد أيضًا في هذا الكتاب تمييز بين نوعين من الصوتيات وهما: الصوت وفوقطعي؛ الأول معروف والمتمثل في أصوات اللغة المحصورة، والتي منها تتولد عدد غير متناه من الكلمات والجمل؛ أما الثاني فمحصور في النبر، والنغم، والتنغيم، وغيرها. ثم ياسر الملاح قام بتحديد المقطع بأنه ما تشكل من فونيمات مفردة، وتحت نوعان: النواة، والفونيمات المساعدة.

¹ سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية - فونولوجيا العربية - ، ص 49.

² ينظر. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 242.

³ المرجع نفسه، ص 50.

⁴ المرجع نفسه.

ورأى أن المقطع لا يبدأ إلا بساكن وأنه قد ينتهي بأحد العناصر التالية: الساكن أو الساكنين أو لا ساكن مطلقاً. وأيضاً حدّد أنماط المقطع، وهي ستة أنماط. ووزعها بحسب الطول، والقصر، وبحسب الغلق والفتح، ثم انتقل إلى النبر فعرفه بأنه: مقدار القوة في كل لفظ، ثم حدد أنواعها الثلاث، فرمز لكل نوع إلا النوع الأخير فلم يرمز له. وهاته الأنواع هي: الأولي والثانوي والضعيف، لكنه لم يعتبر النبر مونيماً؛ والسبب أنه لم يؤدّ وظيفة. ويقول ياسر الملاح: << ففي الكلمات يسهل توقع صوت النبر ولذلك فهو ليس فونيميا >>¹.

لقد استخدم صاحب الكتاب (مبدأ التقابل) بين الصوتين - التضاد - من أجل التمييز بينهما؛ في الشدة والرخاوة، في القوة والضعف، وفي الجهر والهمس... الخ من القيم الخلفية. لكن المصطلح المستخدم عنده (النظير)، وفي هذا السياق (التقابل) أو (التضاد الفونولوجي) يقول فهمي حجازي: << تعتمد الفونولوجية على جملة من المصطلحات مثل الفونيم والسمة الفونولوجية، والتضاد الفونولوجي... وهذا التضاد الفونولوجي هو كل تقابل صوتي يستخدم في لغة بعينها للتمييز بين المعاني >>². ويظهر التقابل في الأمثلة التي ساقها إلى القارئ، وإليك الأمثلة من التقابلات: / ت / ونظيره / ط / ، / د / ونظيره / ض / ، / س / ونظيره / ص / ، / ذ / ونظيره / ظ / الخ.

كما تناول ظاهرة التنغيم الذي يلعب دوراً مهماً في تحديد وظائف التراكيب، وتبيين أنماطها الخبرية من الإنشائية؛ الطلبية: كالأمر، والنداء، والاستفهام، وغيرها. وغير الطلبية. وحسب تحليله يتبين أنه يعدّ التنغيم مونيماً

¹ سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية - فونولوجيا العربية - ، ص 134.

² محمود فهمي حجازي: (أصول البنيوية في علم اللغة والدراسات الأنتولوجية)، في مجلة عالم الفكر، العدد 1،

المجلد 3، وزارة الإعلام في الكويت، 1976م، ص 164.

مادام يؤدّي وظيفة. والتنغيم ربطه بمعياريين اثنين؛ الوقف سواء الصاعد أو الهابط، ودرجة الصوت وهي متفاوتة، عال، متوسط، ضعيف.. الخ. وهاذان المعياران لهما دور كبير في تأدية الوظائف¹.

وأیضا من العرب المحدثين الذين درسوا ظاهرة الصوت من جانب الوظيفة التواتي بن التواتي، الذي رأى في التمايز بين الأصوات دور كبير في تحديد المعاني واختلافها أو تنوعها. ويقول ياسر الملاح في هذا السياق: >> الغنة لها وظيفة من حيث التمييز بين (ب) و (م) الرء لها وظيفة والغين لها وظيفة في اللغة العربية <<².

ونجده في موضع يوضح للقارئ بأن الاتجاه الوظيفي لا يراعي الخصائص الفيزيولوجية النطقية أو السمعية للأصوات ولا الفيزيائية وإنما إلى وظيفتها والدور التي تقوم به في نظام اللغة فيقول: >> إن التحليل الفونولوجي ... لا يهتم بالخصائص النطقية والفيزيائية للصوت باعتبارها هدفا في ذاته كما يفعل دارس علم الأصوات بل ينظر عالم الفونولوجي إلى الخصائص النطقية والفيزيائية للصوت كوسيلة من الوسائل لتحديد طبيعة الصوت<<³.

فقد ميز الكاتب بين صوتين؛ الصوت الأول إذا تم استبداله بصوت آخر، أو تغير صفته لسبب التجاور بالوحدات اللغوية الأخرى، ولم يؤدي تغييرا في المعنى، فهذا ليس فونيمًا، فهو ألفون. والعرب أطلقوا عليه (وجها)⁴.

¹ ينظر سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية - فونولوجيا العربية -، ص 139 - 147.

² التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ط2، روية الجزائر، دار الوعي، 2008، ص 12.

³ المرجع نفسه، ص 12 - 13.

⁴ المرجع نفسه، ص 13.

وقد قدم أمثلة من لغات متعددة؛ ومنها العربية، كقوله فيما معناه: اللام في لفظ الجلالة (الله) تنطق مفخمة إذا قبلها ضم أو فتح مثال: بَعَثَ اللهُ رَسُوْلًا وَ يَرْحَمُ اللهُ الْمُتَّقِيْنَ، أما في قوله تعالى: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تُنْطَقُ مَرْقَعَةً لِأَنَّ قَبْلَهَا كَسْرٌ. والصوت الثاني هو فونيمًا؛ لأنه إذا اسْتُبْدِلَ صَوْتٌ بِصَوْتٍ آخَرَ، وَأَدَّى إِلَى تَغْيِيرٍ فِي الْمَعْنَى يُسَمَّى فُونِيْمًا مِثَال: صَارَ وَسَارَ؛ فَأَصْوَاتٌ كُلُّهَا مِنْ كَلِمَتَيْنِ مُشْتَرَكَةٍ إِلَّا الصَّادَ وَالسِّينَ، فَقَدْ اخْتَلَفَا فِيهِمَا، وَهَذَا الْاِخْتِلَافُ أَدَّى إِلَى تَغْيِيرٍ فِي الْمَعْنَى.¹

ب- **المسألة الثانية:** الكلمة ولها تسميات عديدة بحسب البيئة وبحسب حرية الباحث في تقديمه للمصطلحات والتسميات لظاهرة ما؛ سواء اكتشفها حديثاً أم متناولة مسبقاً ومن تسميات أخرى للكلمة؛ مونام أو مورفام و قد عرفه التواتي بن التواتي بـ: << أصغر وحدة لغوية ذات معنى في لغة ما >>.²

وحسب رأي الكاتب يتبين أن الكلمة هي الأصغر الوحدات اللغوية التي تدل على معنى، فلا وجود لوحدة أخرى دونها دالة إلا معنى. يبدو أن هذا التعريف التبس عليه ويراه غير دقيق، ولتوضيح هذا اللبس قام باستحضار نوعين من المورفييمات؛ المورفيم الحر وعرفه في قوله: <> الذي يمكن استعماله بحرية كوحدة مستقلة في اللغة مثل: رجل، نام، إلى، فوق، تحت...إلخ >>،³ أما المورفيم المقيد فقد كان تعريفه في قوله: <> وهو الذي لا يمكن استخدامه منفرداً بل يجب أن يتصل بمورفيم حر أو مقيد >>.⁴ ثم قدم قواعد عربية مع أمثلة مثل: الألف والنون للدلالة على المثني، والواو والنون للدلالة على الجمع

¹ ينظر التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص 13-14.

² المرجع نفسه، ص 17.

³ المرجع نفسه، ص 18.

⁴ المرجع نفسه.

المذكر السالم، وغيرها من القواعد. فهذه العلامات لا ترد إلا متصلة بالكلمات فهي غير مستقلة. واستنتاجه كان أن كل كلمة سواء أكانت حركة أو حرفاً أو أكثر من حرف ودال على معنى فهو كلمة.

ويبدو أن التواتي بن التواتي لجأ في تحليلاته للوحدات اللغوية للكشف عن مورفيمات الحرة أم المقيدة إلى استخدام عملية التقطيع المزدوج، ومنها ينطلق الوظيفيون حين تحليلهم للكلام وتسمى بـ (التقطيع المزدوج) وظهر جليا في تقطيعه للفظة الكتاب: الذي ذهب إلى أنها تتكون من أكثر من كلمة وتتمثل في: (ال) و (كتاب)، واعتبرهما كلمتان لأنهما تدلان على معنيين، ونفى عنهما اسم الكلمة إذا قطعت إلى وحدات أخرى دنيا (صوامت) و (صوائت)؛ والسبب أنها لا تدل على معاني.¹

والتقطيع المزدوج يكون في عمليتين؛ >> التقطيع الأول ويتناول الكلمات في صورتها اللفظية ومن حيث مضمونها...والتقطيع الثاني لا يعنى فيه إلا بالصورة اللفظية <<.² وفي هذا السياق نفسه يقول التواتي: >> إن البنيويين الوظيفيين...يقطعون قطعة من الكلام فيختبرونها باستبدالها بقطعة أخرى، فإذا بقي الكلام مستقيماً حكموا على القطعة الأولى بأنها وحدة من وحدات هذا الكلام مثل: { ذهب به }، { كتب به }، { ذهب بك }، وبملاحظة العبارة الأولى تتكون من وحدات لقابليتها للاستبدال مع بقاء الاستقامة <<.³

وهناك طريقة أخرى على مستوى الكلمات المتمثلة في تلك التقابلات بين الكلمات، والتي نجدها عند خولة طالب الإبراهيمي حين انتقت جملة من القطع

¹ ينظر التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص 18.

² محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ص 70

³ التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص 12.

الكلامية ولا اختلاف بينها إلا قليلا، ثم قارنت بين الأجزاء من أجل التمييز بينها من ناحية ثبات المعنى أو تغييره والأمثلة التي ساقتها لنا متمثلة في: يأكل / أكل ينتهي من الأكل / في وقت بعيد ينتهي من الأكل، لقد انتهينا من الأكل / لقد أكلنا من جديد... وغيرها من التقابلات؛ فقد اهتمت إلى أن التقابل الأول فيه تغيير في المعنى بين الماضي والحاضر، وأيضا التغيير في التقابل الثاني من جانب المعنى بين المستقبل القريب والمستقبل البعيد وغيرها من التقابلات سواء فيه تغيير للمعنى أم لا.¹

ت- **النحو التركيبي:** إن التراكيب اللغوية لا تتحدد علاقاتها إلا من خلال مقاييس

معينة التي تعينها في عملية التحديد، وقد حددها مارتيني في ثلاث نقاط؛ وتتمثل في: مفهوم الاستقلال التركيبي، والوحدات الوظيفية، وموقع الكلمة من التركيب، وقد ركز على (التركيب الإسنادي)، وجعله المحور الأساسي في الجملة وهو ما تكوّن من المسند والمسند إليه.²

وقد تناولته خولة في قولها: >> الذي يشكل أساس الجملة لا يمكن أن يزول وإذا زال فسدت الجملة وهو تركيب مستقل لأنه يدل بنفسه على وظيفته، أما بقية العناصر الأخرى فمتعلقة به وهي فضلات تضاف لتحديد الزمان والمكان أو لتخصيص أحد عناصر الإسناد فإذا حذفناها لا تختل الجملة <<³ يفهم من خلال قولها أن التركيب الإسنادي يلعب دورا مهما في الجملة، ولا يمكن الاستغناء عنه، على عكس الفضلة التي يمكن حذفها دون إحداث خلا في الكلام.

¹ ينظر خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ط 2، حيدرة - الجزائر، دار القصبه للنشر، 2006/2000، ص 86-87.

² المرجع نفسه، ص 101

³ المرجع نفسه.

ويمكن استنتاج نوعين من اللفاظ؛ ما كانت وظيفتها أولية، وما كانت وظيفتها غير أولية¹؛ فالأولى هي التي تتصل مباشرة بالملفوظ باعتباره كلاً لا بأحد عناصره؛ والثانية هي التي تتصل بعنصر من عناصره مثل قولنا اقتنى الأستاذ بماله كتاباً مفيداً من المعرض؛ فاقتنى، الأستاذ، كتاباً؛ وظائف أولية، والبقية فهي وظائف غير أولية. واللفظ الإسنادي هو الذي يحتل الصدارة في الوظائف.

وأيضاً هناك لفاظم تلحق اللفظ الإسنادي من باب الإضافة؛ نسميها لفاظم التوسيع، وتأتي لتتم النواة الإسناد؛ وهي على قسمين: توسيع بالعطف؛ وهو الربط بين المعطوف والمعطوف عليه، وتوسيع بالإتباع؛ مثلاً مسكت كتاباً؛ فـ (كتاباً) توسيع بالإتباع وإذا قلنا: مسكت كتاباً بالقلم؛ فـ (القلم) هو توسيع بالإتباع.²

وللفاظم ثلاث تصنيفات حددها الوظيفيون من أجل ضبط الوظائف، وهي اللفاظم المستقلة ووظيفتها تتحدد في نفسها مثل: قبل، بعد، وأيضاً اللفاظم الوظيفية التي وظيفتها تتحدد مع غيرها مثل: حروف الجر، وأخيراً اللفاظم التابعة: وتتمثل في العلاقة التي تنشأ بينها وبين غيرها من اللفاظم.³

ثانياً: بنوية تمام حسان الوظيفية

من رواد العرب الذين برز فيهم بعض أفكار البنيوية الوظيفية بعد اتصالهم وتأثرهم بالغرب إبراهيم أنيس، وكمال محمد بشر، وعبد الرحمان

¹ ينظر عبد القادر المهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي، ط 1، بيروت - لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1993م، ص 241.

² المرجع نفسه، ص 241 - 242.

³ المرجع نفسه، ص 239.

أيوب، و محمود السعران؛ و تمام حسان هذا الأخير الذي ميز في دراساته الصوتية بين جانبين من الأصوات؛ أصوات فونيطيقية وأصوات وظيفية فونولوجية أو تشكيلية حيث الفونيطيقية يدرس الأصوات على أنها حركات عضوية مقترنة بنغمات صوتية، أما الوظيفية فهي تدرس الأصوات من حيث تجاوزها وارتباطها بعضها ببعض من الأصوات، وأيضا من حيث مواقعها، وكذلك يدرس علم الأصوات الوظيفية النبر والتنغيم وغيرها من العناصر الصوتية.

إن تمام حسان ميز بين العلمين الصوتي والفونولوجي، وهذا المبدأ نقله من مدرسة براغ الوظيفية وخاصة لرائدها المشهور تروبسكوي.¹ يقول تمام حسان: <>... وقلنا إن دراسة الأصوات التي تجري في الكلام من حيث هي حركات عضوية مقترنة بنغمات صوتية هي ما نسميه علم الأصوات، ولكن دراسة الأصوات غير مقصورة على هذه الناحية الدراسية الطبيعية فحسب، بل هي تخضع لقواعد معينة في تجاوزها وارتباطها، ومواقعها... ثم دراسة الظواهر التي لا ترتبط... بل بالمجموعة الكلامية بصفة عامة كالموقعية والنبر والتنغيم. ودراسة الأصوات... دراسة لسلوكها... وتلك هي دراسة التشكيل الصوتي.>>²

إن المحاولة الفونولوجية لتمام حسان قد مرت بمرحلتين اثنتين تجسدت الأولى في كتابه مناهج البحث في اللغة، وقد أشرنا إلى ذلك لما فرق بين العلمين؛ الفونوطيقي وعلم الصوت الوظيفي، أما الثانية فتبرز في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها؛ الذي قدم فيه مجموعة من المفاهيم والمصطلحات الفونولوجية. هنا يبدو أكثر وعيا لمفاهيم الفونولوجيا ومصطلحاتها وتطبيقاتها

¹ ينظر فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث - دراسة في النشاط اللساني العربي، ط1، هليوبوليس غرب - مصر الجديدة، يتراك للنشر والتوزيع، 2004، ص113.

² تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ط: بلا، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة 1990، ص111.

على اللغة العربية. لقد تخلى في هذا الكتاب عن التسمية (علم التشكيل الصوتي) ليستبدله بعلم الصوتيات.¹

يذهب تمام حسان إلى أن دراسة الأصوات دراسة وصفية هي مرحلة أولى من مراحل الدراسة، ثم تليها بعدها مرحلة القيم الخلافية بين الأصوات؛ فكل صوت له سماته وصفاته تميزه عن الأصوات الأخرى .

والمفهوم الفونولوجي المسيطر في هذا الكتاب والذي أخذ حصة الأسد هو مفهوم القيم الخلافية، وهو مقتبس من مدرسة براغ² في مفهوم التقابل بالتضاد بين الوحدات اللغوية. وقد استعمله في دراساته للمستويات اللغوية.

نجد تمام حسان قد أخرج الفونيطيقا من الدراسات اللسانية واعتبر الفونولوجيا العلم الوحيد الذي يندرج في إطار العلوم اللسانية. كما أنه ذهب إلى أن علم الفونولوجيا قائم على مبدئين رئيسيين وهما :

- معطيات الفونيطيقا.

- طائفة من المقابلات بين الأصوات في المخارج والصفات والوظائف.

وكذلك استعمل مفهومين ورأى بأنهما مرتبطان بالقيم الخلافية وهما: (تداخل/تخارج)، (الاستبدال)؛ ويستعملان لوصف الصوت في تقابله مع الصوت الآخر.³ وقد قام تمام حسان بتعريف هاتاه المصطلحات فقال في التداخل: >> أن يصح أن يحل أحد الصوتين محل الآخر في اللفظ فيتغير معنى الكلمة

¹ تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 112.

² ينظر فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث -، ص 113.

³ المرجع نفسه، ص 17 - 18

بحلوله»¹. والتخارج قال فيه: >> أن يتعذر على أحد الصوتين أن يحل من اللفظ محل الصوت الآخر...<<².

ثالثاً: البنيوية الوظيفية في التراث العربي القديم:

لما ظهرت البنيوية الوظيفية وفرضت وجودها على ساحات الدراسات اللسانية بالقوة، وظلت تتطور وتستمد قوتها وتطورها من التابعين لها، استقبلها الوطن العربي أيما استقبال، فوقفوا أمامها يدققون النظر فيها ويمحصونها ويفحصونها في كل صغيرة وكبيرة فانقسم الباحثون فرقا وطوائف، منهم المتمزتون ومنهم غير ذلك؛ بين منغمسين فيها ودراسة بها لغتهم العربية، وبين آخذين تلك الأفكار والمبادئ والأسس الوظيفية، والبحث عنها في التراث العربي في كتاباتهم الأصول؛ النحوية والصرفية والفقهية والتفسيرية وغيرها من العلوم.

ومن هؤلاء الذين رجعوا إلى الخلف أي التاريخ العربي، ومضوا يتصفحون صفحاته من أجل البحث عن تلك النقاط المشتركة بينها وبين البنيوية الوظيفية هم اللسانيون التراثيون، لقد اهتموا إلى أن الوظيفية موجودة عند العرب في تراثهم القديم.

وهاهو ذا السعيد شنوكة يقدم رأيه ويذهب إلى أن الدراسات البنيوية الوظيفية ليست من الدراسات اللسانية الحديثة الخالصة، وخاصة علم الفونولوجيا ويقول في هذا السياق: >> ولسنا ممن يرى علم الأصوات الوظيفي أو علم التشكيل الصوتي من العلوم الحديثة الخالصة لأن مباحث هذا العلم كانت معروفة عند علماء اللغة العربية قديما وعلى هذا الأساس لم تكن مسائل

¹ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط: بلا، الدار البيضاء-المغرب، دار الثقافة، 1994، ص77.

² المرجع نفسه.

تعلق الأصوات من بعضها ببعض مخلوقة من العدم في هذا العصر الحديث بل جمعت الآراء المتعلقة بمباحثها الصوتية تحت هذا الاسم هو الحديث... وقد شهد لهم المحدثون بالأعمال العلمية الجليلة التي أدركوها في زمانهم خدمة للعربية ولغة القرآن خاصة <1>.

يتضح من خلال القول أن صاحبه يرُدُّ على من ينكر أنه ليست هناك نظريات واتجاهات لسانية في التراث العربي وخاصة الوظيفية منها. وليس بمفرده في هذه المسألة بل معه من الباحثين والعلماء من أيده في هذا الرأي. وكذلك يبدو أنه يتهم الغرب بمطالعتهم لدراساتنا اللغوية، وسرقتهم منهم من هاته النظريات التي يتفخرون بها، ومن بعد يلقون اتهامات باطلة؛ بأننا بلا مناهج وبلا اتجاهات.

وكما نجد أيضا جعفر دك الباب الذي قام بتقسيم تاريخ نشأة اللسان العربي إلى ثلاثة أقسام². فقال: <> إن تاريخ الأبحاث اللسانية العربية على ضوء اللسانيات الحديثة تكشف أن دراسة اللغة العربية مرت بثلاث مراحل هي التالية:

- أ. الدراسة الوصفية التحليلية الشاملة.
- ب. الدراسة النحوية المتخصصة.
- ج. الدراسة الوظيفية التي بدأها الإمام الجرجاني<>³.

¹ السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ط1، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، 2008، ص76.

² ينظر جعفر دك الباب، (تاريخ نشأة اللسان العربي)، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، العدد الثامن، دمشق، رمضان 1402هـ - تموز 1982م، ص204.

³ المرجع نفسه.

إذن من خلال المقولة التي طرحها جعفر دك الباب، وعن مراحل تشكل النظام اللغوي للسان العربي واكتماله، يتبين لنا أن البنيوية الوظيفية موجودة عند العرب وهم السباقون إليها، وأن بدايتها كانت مع الإمام الجرجاني، وطبيعي أن يتطور من بعده حتى يستوي على سوقه.

إن جعفر دك الباب قد طرح آراء جديدة في مقالته " الخصائص البنيوية للفعل والاسم في العربية " في دراسة بنية الكلمات المفردة والتراكيب في العربية لكن باعتماد على المنهج الوظيفي للإمام الجرجاني، وهو يذهب إلى وجود ضمائر متصلة في النظام اللغوي العربية قد أثر في تحديد مفهوم الكلمة.. ويتضح ذلك في المصطلحات الآتية :

أ. الاستخدام المطلق للفعل ويقصد به أن ضمير الرفع في الفعل قد يأتي ظاهراً وقد يأتي مستتراً مثل: قرأت، ونقرأ (نحن).

ب. الاستخدام غير المطلق للفعل؛ أي أن بعض الأفعال في بدايتها لا يسبقها أو يتعلق بها ضمير مثلاً: قرأ.¹
ج. الرفع المطلق للاسم الظاهر: ويقصد به أن المبتدأ ليس شرطه أن يتقيد في وجود بعد الفعل مثلاً: زيد أخوك، زيد قام.

د. الرفع غير المطلق للاسم الظاهر: ويعني أن الفاعل شرطه أن يتقيد بفعله مثل: قام زيد.

هـ. اندماج الكلمات في العربية يتم بإحدى الطريقتين:

1. تركيب اندماجي إسنادي يفيد جملة مثل فعل وفاعل.

¹ ينظر جعفر دك الباب، (تاريخ نشأة اللسان العربي)، مجلة التراث العربي، ص206.

2. تركيب اندماجي غير إسنادي لا يفيد جملة ويكون

جزء من جملة مثل (لك...)¹.

وقام أيضا الدارس بتحديد أربعة أنماط البنيوية الوظيفية من الكلمات في

النظام اللغوي العربي وهي :

- الكلمة - الجملة.
- الكلمة المتصلة صرفيا (بنويا) وغير المستقلة بالفهم دلاليا (وظيفيا).
- الكلمة المنفصلة صرفيا وغير المستقلة بالفهم دلاليا.
- الكلمة المنفصلة صرفيا والمستقلة بالفهم دلاليا.²

كما قام بتحديد أنماط البنيوية الوظيفية للجملة وحصرها في ثمانية أنماط.³ يؤكد جعفر ذلك الباب إلى أن المنهج البنوي الوظيفي ظهر عند العرب القدامى ويقدم دليلا ليثبت صحة مذهبه بعد أن ميز بين تركيبين، تركيب إسنادي وتركيب غير إسنادي؛ فالإسنادي ما تركب من مسند ومسند إليه، وغير إسنادي هو الخال منهما.

ويرى أن العرب القدامى اهتموا بالجانب الإسنادي، وأهملوا الثاني إلا في مواضع قليلة يكاد لا يظهر، ويقدم تبريرا لإهمالهم للجانب الثاني فيقول: >> ويعود السبب إلى أن علماء العربية استخدموا في دراساتهم للعربية منهجا بنويا وظيفيا ... لأن البنية اللغوية لا تستقل عن وظيفة الاتصال التي تؤديها

¹ ينظر جعفر ذلك الباب، (تاريخ نشأة اللسان العربي)، مجلة التراث العربي، ص 206-207.

² المرجع نفسه، ص 207

³ المرجع نفسه.

اللغة >>¹، لكنه لم يقف عند هذا الحد من القول بل ذكر اسم الجرجاني، والعلامات الوظيفية التي تظهر في دراساته للقضايا اللغوية، وخاصة في نظرية النظم التي أتى بها، وقد ربط الكلمات بالوظائف التي تؤديها لحظة الكلام، وأن أصل اللغة للتواصل بين الناس، ومادامت وجدت لهذا الغرض، فدراسة اللغة لا بد ألا يخرج عن هذه الدائرة التي رسمت لها.

ويقول في هذا السياق: >> وقد توسع الإمام الجرجاني في استخدام هذا المنهج البنوي الوظيفي حين بحث في نظم الكلم. فعمد إلى بيان ارتباط خصائص بنية الكلمة المفردة بالوظيفة التي تؤديها الكلام، انطلاقاً من الوظيفة الأساسية للغة كوسيلة لاتصال الناس بعضهم ببعض>>². وما يثبت صحة ما ذهب إليه جعفر ذلك ما استشهد به من قول الجرجاني: >> معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض. والكلم ثلاث: اسم، وفعل، وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما ... فهذه هي الطرق / والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض، وهي، كما تراها، معاني النحو وأحكامه >>³.

وها هو ذا صالح بلعيد يؤمن بفكرة أن البنوية الوظيفية حاضرة في التراث العربي القديم وأنها ليست جديدة عنا، ودراسات النحاة والبلاغيين العرب تثبت ذلك وخاصة سيبويه وعبد القاهر الجرجاني ويقول: >> ومن هنا نعرف أو

¹ جعفر ذلك الباب، (الخصائص البنوية للفعل والاسم في العربية)، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، العدد (11 و 12)، دمشق جمادى الآخرة/رمضان 1403 - (أبريل ويوليو) 1983، ص 58.

² المرجع نفسه.

³ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 4 - 8.

نعلم أن الجرجاني حين بدأ مرحلة الدراسة الوظيفية أكد على ضرورة التقيد بقواعد النحو العربي التي بلورها سيبويه في الكتاب، وسار الجرجاني على منهج وصفي وظيفي يبين ارتباط البنية الأساسية، وأن بنيتها النحوية تقوم على توافر الإسناد فيها، وتقوم البنية الإبلابية على توافر الفائدة فيها <<¹.

ونجد أيضا صالح بلعيد ينقل للقارئ نتائج المقارنة لنظرية ماتيزيوس ونظرية عبد القاهر التي أجراها جعفر دك الباب ويقول في هذا المقام: >> ونعرض بإيجاز نتائج المقارنة التي أجراها الأستاذ جعفر دك الباب لنظرية ماتيزيوس ونظرية عبد القاهر <<². ثم يعرضها في خمسة نقاط وهي ملخصة فيما يأتي:³

- أ. إن الوظيفة الأساسية للغة عند عبد القاهر الجرجاني تبليغ المتكلم للسامع مقصديته من الكلام، ونجد هذا العنصر قد ركزت عليه المدرسة البنيوية الوظيفية .
- ب. الجرجاني ذهب إلى أنه على المتكلم أن يفيد السامع بفكرة لم يكن يعلمها فهي عنده جديدة نفس الشيء عند البنيوية الوظيفية .
- ج. الجرجاني ربط الخبر بالموقف أي الحال الذي يقال فيه الخبر عند التواصل، وكذلك الأمر عند البنيوية الوظيفية.
- د. أشار الجرجاني إلى أن المبتدأ يكون معينا إما بجنسه وإما بعينه. أما البنيوية الوظيفية فأشارت إلى أن الموضوع قد يعلم حين يذكر في السياق وقد يفهم دون ذلك. وغيرها من النقاط.

¹ صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني، ص 236.

² المرجع نفسه، ص 234 - 235.

³ المرجع نفسه، ص 235.

وكذلك نجد ملامح البنيوية الوظيفية بارزة عند الجرجاني في تقسيمه الجديد للعوامل التي تؤثر في المعمولات، فهي عنده ثلاثة أنواع: عامل الفعل، وعامل الاسم، وعامل الحرف، والعامل لفظي ومعنوي..الخ.¹

كما ذكر أيضا بك تمييز النحويين لعلاقة الكلمات في التراكيب وحصرها في اثنتين وهما :

- علاقة مؤثر ومتأثر؛ والمؤثر هو الذي يغير في حركة أواخر الكلمات المتأثرة، والمتأثر هو الكلمة المعمولة.
- علاقة تابع ومتبوع.²

وأیضا من الباحثين العرب من ذهب إلى القول أن البنيوية الوظيفية سبق إليها العرب خولة طالب الإبراهيمي فقد أشارت إلى ذلك لكنها لم تصرح بذلك بل لمحت إليها بقولها: >> وقد سمي اللغويون العرب هذه الصفة الذاتية الفضيلة وهي الصفة المميزة للحرف <<.³

يبدو من كلامها أن العرب استعملوا منهج البنيوية الوظيفية في التمييز بين الأصوات في تحديد الدلالات وتنوعها وتغيرها وذلك عن طريق استعمال مبدأ التقابل بالتضاد، ويظهر هذا المبدأ عند رضي الدين الإستربادي الذي استعمل مصطلحا في مرادف التقابل وهو الفضيلة، وقد أتت الباحثة بشاهد من

¹ ينظر جعفر دك الباب، (الخصائص البنيوية للفعل والاسم في العربية)، مجلة التراث العربي، ص60.

² المرجع نفسه، ص59

³ خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص73.

إحدى كتاباته في قوله: >> فضيلة الضاد الاستطالة، وفضيلة الواو والياء اللين <<¹

والشيء نفسه عند التواتي بن التواتي في كتابه المدارس اللسانية: الذي أشار وصرح إلى وجود منهج البنيوية الوظيفية في الدراسات اللغوية العربية القديمة في قوله: >> ولابن جني توجيه قيم لهذه المتقابلات مما يدل على أن أعلامنا كانوا سباقين لهذا النوع من الدراسات <<². وجاء بنص ابن جني يثبت صحة ما جاء به، وفي قلب هذا النص أمثلة يشرح بها ابن جني تلك المتقابلات، ودورها في تغيير المعنى وأبرزها: {خضم-قضم} فالخضم لأكل الرطب، والقضم لأكل الصلب اليابس. وأيضاً استدل من القرآن بلفظة نضاختان وقابل هذه اللفظة لفظة أخرى وهي النضح؛ فذهب إلى أن النضح للماء والنضح أقوى منه. ومن الأمثلة التي استدل بها أيضاً: القد/القط فرأى أن القدد طولاً والقط عرضاً... الخ من الأمثلة.³

وأيضاً من القضايا البنيوية الوظيفية التي تطرق إليها علماءنا العرب القدامى هي: على مستوى التركيب في الفائدة التي يستفاد من كلام غيرنا، أو يستفيدة المخاطب من كلام المتكلم، وهذه المعلومة التي يجهلها المخاطب تسمى الفائدة. هذا ما ذهب إليه التواتي بن التواتي.⁴ وجاء بقول عبد الرحمان الحاج

¹ الإسترابادي (رضي الدين محمد بن الحسن)، شرح شافية ابن حاجب، ت محمد نور الحسن، محمد الزفزاف

ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الجزء الثالث، ص 270.

² التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص 15.

³ المرجع نفسه.

⁴ المرجع نفسه، ص 15 - 16.

صالح: >> هذه النظرة تقطن لها النحاة العرب فميزوا بين المعنى والفائدة
1.<<...

خلاصة:

وخلاصة القول أن البنوية الوظيفية فرع من فروع البنيوية، تنظر إلى بنية اللغة من حيث الوظائف التي تقوم بها. وقد تسلسل هذا الاتجاه إلى العالم العربي عن طريق نخبة من العلماء العرب والمفكرين الذين درسوا في الخارج - في معاهد الغرب وجامعاتهم - لقد قاموا بترجمة كتاباتهم التي تتضمن فيها مبادئ وآراء ونظرات البنيوية الوظيفية. والملاحظ أن هذا الاتجاه بعد نقله إلى البيئة العربية تلقى من قبل الباحثين العرب أضراراً من الردود؛ بين الراغب فيه وبين رافضه وهناك من وقف موقف وسط؛ أما الراغب فيه فقد سعى إلى فهم قضايا ومسائل الوظيفيين، واستيعابها ثم تطبيقها على لغته العربية، كياسر ملاح، التواتي بن التواتي، خولة طالب الإبراهيمي، وتمام حسان وغيرهم من الأعلام والباحثين اللسانيين العرب.

أما عن الرافض لهذا الاتجاه هم المتفوقون داخل دائرة التراث والمحافظون لأصولهم العربية العريقة، ويرون أنه لا يمكن تطبيق مثل تلك المناهج الغربية على اللغة العربية، وأنها غير صالحة فهذه المبادئ مستتبطة من لغات غربية فكيف يمكن إسقاطها على اللغة العربية؟

والفريق الأخير قام بأخذ تلك الأفكار والمبادئ والأسس الوظيفية ثم البحث عنها في التراث العربي - في الكتب العربية الأصولية -؛ من نحو وصرف وبلاغة وغيرها، وقد أثبت الكثيرون وجود الوظيفية عند العرب وخاصة عند النحاة والبلاغيين

¹ التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، نقلاً عن عبد الرحمن الحاج

صالح، دراسات وبحوث في علوم اللسان، ص 86.

وبالأخص عبد القاهر الجرجاني. ومن هؤلاء من أثبت وجودها؛ جعفر دك الباب،
صالح بلعيد، تمام حسان وغيرهم.

الفصل الثاني

التوليدية التحويلية في الكتابات العربية قراءة ونقد

* أولا : الاتجاه التعريفي التحليلي للتوليدية في

الدرس اللساني العربي

* ثانيا : الاتجاه التأصيلي الإسقاطي في البحث

التوليدي العربي

المبحث الأول: الاتجاه التعريفي التحليلي للتوليدية في الدرس اللساني العربي

أولاً: النظرية التوليدية التحويلية ومراحل نشأتها:

نشأ المنهج التوليدي التحويلي على أنقاض البنيوية بعد أن كشف نعوم تشومسكي النقص الذي يتخللها ولهذا تخمرت في نفسه الرغبة لسد تلك الثغرات ولتحقيق رغبته قام بوضع هذه النظرية الجديدة التي تجسدت في اسم التوليدية التحويلية.

ولما أنشأ تشومسكي هذا الاتجاه أخذ يتسع نطاقه، وينتشر بصورة عجيبة حتى مد بذراعه إلى جميع أقطار العالم والقطر العربي، آخذين بالقوانين التوليدية التحويلية التي وضعها تشومسكي.¹ وفي هذا السياق يقول عميرة: >> لا ريب أن تشومسكي قد وضع نظرية جديدة لفتت انتباه العلماء والباحثين في الغرب ثم امتدت إلى الشرق فأخذ يشتغل في ضوئها العلماء في المعاهد والجامعات الشرقية وفي العالم العربي بخاصة، آخذين بالقوانين التوليدية التحويلية التي وضعها تشومسكي ... يطبقونها على اللغة العربية <<.²

وهنا لا بد من عرض المراحل و الخطوات التي سار عليها هذا المنهج ليبلغ أوجه ويستوي على سوقه. وأيضاً يجب التعرف على أهم المبادئ والأسس الرئيسية التي قام عليها الاتجاه، كما هي منقولة إلينا في الكتابات العربية من قبل علمائنا العرب

¹ ينظر خليل أحمد عميرة، المسافة بين التطوير النحوي والتطبيق اللغوي، ط1، عمان أردن، دار وائل للنشر والتوزيع، سنة 2004م، ص 249-250.

² المرجع نفسه، ص 250.

والباحثين. إذن سنقف في هذا المبحث عند الأصول التوليدية التحويلية، ثم تطبيقاتها على العربية.

التوليدية التحويلية لم تأت ، هكذا من عدم بل هناك ظروف وعوامل من أجلها وجدت وفرضت نفسها في العالم الدراسات اللسانية ، فقد كان ذلك عام 1957م لما نشر تشومسكي كتابه الثوري (البنى التركيبية). وهذه النظرية كانت لعدة ؛وعلتها هي نقد مدرسة بلومفيلد نقدا قويا على أهم الأسس التي أتى ونادى بها.¹

لقد نشأت على أنقاض المدرسة البلومفيلدية أفكار تتناقض مع أفكار تشومسكي، لكن دون إغفال أو إنكار بعض نقاط المشتركة بينهما. والنظرية التوليدية التحويلية قبل أن تصلنا بهذا الشكل والمضمون فقد مرت بمراحل ثلاث وهي كما يأتي²:

أ. **المرحلة الأولى:** جسدها تشومسكي في كتابه (البنى التركيبية)، ثم أطلق على هذه النظرية باسم النظرية الكلاسيكية.

ب. **المرحلة الثانية:** اقترنت بكتابه الذي أخرجه لأهل زمانه وهو (مظاهر النظرية التركيبية)، وذلك في عام 1965م، وهذه النظرية معروفة باسم النظرية النموذجية

ج. **المرحلة الثالثة:** مرتبطة بالكتاب الذي أنشأه بعنوان (دراسات الدلالة في القواعد التوليدية)، وذلك في عام 1972م، وعرفت النظرية في هذه المرحلة باسم النظرية النموذجية الموسعة.

¹ ينظر خليل أحمد عميرة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، ص، 250.

² ينظر أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص205.

ثانياً: أهم القضايا التوليدية التحويلية الواردة في كتابات العرب المحدثين

أ. دعوة تشومسكي إلى تغيير في منهج دراسة اللغة: بانتقال تشومسكي من الدراسة السلوكية إلى دراسة اللغة على أنها نظام معرفي عقلي، وأن الإنسان كائن حي يولد، وهو على استعداد فطري موروث لاكتساب لغة بشرية،¹ وإمكانه إنتاج عدد غير متناه من الجمل، والتعبير عنها، عكس الحيوان، والتي تأقت تعليماً من قبل الإنسان؛ فلا يمكنها ذلك. وظل تشومسكي متمسكاً بهذه الفكرة. وتمسكه ظهر عند الطفل الصغير وهو يقوم بتعلم اللغة وتدرجه عبر مراحل من أجل اكتسابها.²

بدء بسن معينة (سنة أو سنتين) بإنتاجه للجمل، وصولاً بعدئذ لسن معين؛ ثم تنمو فيه قدرة على التعبير - عما يختلج في نفسه من مشاعر وعواطف وأحاسيس وما تختمر في ذهنه من الأفكار - بالجمل وبأعداد غير محدودة، وغير مسموعة من قبل، كما تساعده هذه القدرة على إدراك الجمل السليمة من الجمل غير سليمة، وتسمى هذه العمليات الذهنية بالبنية العميقة، ويظهر آثارها على شكل قوالب من الأصوات والصيغ الصرفية والتراكيب من الجمل وتسمى بالبنية السطحية؛ أي يظهر أثرها على السطح وتبينها الأذن أو أثر الكتابة؛ ولولاها لا يتم التفاهم بين الأطراف المتواصلة في عملية الكلام، ويزداد في ذهنه نمو الداخلي التنظيمي للقواعد الكلية حسب قدرته وحجم اكتسابه للغة.³

¹ ينظر حمدان رمضان أبو عاصي، (التطورات النظرية والمنهجية للنظرية التوليدية في نصف قرن)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، العدد 3، المجلد 4، رمضان 1428هـ / أكتوبر 2007م، ص 128.

² المرجع نفسه، ص 250.

³ ينظر خليل أحمد عميرة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، ص 251-252.

ب. الكفاءة اللغوية والأداء اللغوي: تركز هذه النظرية على تحليل مقدرة المتكلم على أن ينتج الجمل وهو يكون قد لم يسمعها من قبل، وعلى أن يتفهمها، وهذا هو ما اصطلح عليه صاحب النظرية بـ (الكفاية اللغوية)، وهي المعرفة الضمنية بقواعد القائمة في ذهن كل متكلم، ويشير ميشال زكريا إليها في قوله: >> وهذه القواعد قائمة بشكل ضمني في الملكة اللسانية (أو الكفاية اللغوية) العائدة إلى متكلم اللغة، وهي ممثلة إذن في عقول متكلميها <<¹. أما (الأداء اللغوي) فهو: >> الاستعمال الآني لهذه المعرفة في عملية التكلم <<². أي تلك القواعد الضمنية والمخزنة في ذهن المتكلم تتحقق في الواقع على شكل أصوات يتكلم بها الإنسان بواسطة لسانه وربما تختلف القناة ويكون التواصل الكتابة لا اللسان. إذن فـ >> الكفاية اللغوية هي التي توجه عملية الأداء الكلام<<³.

ج. القواعد الكلية: والتي هي جملة من المبادئ والقواعد والقوانين المنظمة، والمشاركة بين اللغات، رغم اختلافاتها وتباينها.⁴

د. طرق التحليل اللغوي: لقد ميز في مرحلته الأولى ثلاث طرق للتحليل اللغوي، وفضل الطريقة الأخيرة؛ بعد أن رأى أنها الأنجع للتحليل اللغوي، وهي على الترتيب الآتي:

1. طريقة القواعد النحوية المحدودة.

2. طريقة قواعد تركيب المركب في الجملة.

3. طريقة النحو التحويلي.

¹ ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ط 1، بيروت - لبنان، دار العلم للملايين، 1993، ص 57.

² المرجع نفسه، ص 61.

³ المرجع نفسه.

⁴ المرجع نفسه، ص 68-70.

٥. **مستويا البنية التركيبية:** افترض وجود مستويين للبنية التركيبية: البنية العميقة، والبنية السطحية، ويربط بينهما علاقة تحويلية تعمل على تغيير جانب أو أكثر من البنية العميقة، لتصل بها إلى البنية السطحية.¹

٦. **عنصرا المكون التركيبي:** وقد اقتصر تشومسكي في مرحلته الأولى على المكون التركيبي، ويتألف من مكونين: المكون الأساس، والمكون التحويلي؛ فالمكون الأساسي جاء تعريفه عند ميشال في قوله >> يحتوي المكون الأساسي على مجموعة قواعد بناء ... وعلى معجم يشتمل على المداخل المعجمية ويحتوي كل مدخل منها على سمات تركيبية وصوتية ودلالية <<.²

أما المكون التحويلي قد عرفه ميشال أيضا بأنه: >> مجموعة التحويلات التي يبدل كل منها مشيرا ركنيا، بمشير ركني آخر ... تخضع إلى ضوابط بعضها كلية وبعضها الآخر خاص بكل لغة <<.³ يبدو أن المكون التحويلي هو تحويل التركيب الباطني المجرد إلى التركيب الظاهري المحسوس بالحذف أو النقل أو الاستبدال وغيرها من وسائل التحويل. وهو ينقسم إلى: قوانين اختيارية وقوانين إجبارية، وإلى قوانين دورية وأخرى غير دورية، وكذلك إلى قوانين مفردة وأخرى مزدوجة.⁴

لكن هذه القضايا اللغوية التي ذكرناها من قبل، أحدث فيها تشومسكي تعديلا في المرحلة الموالية، وهذا التعديل هو أكثر إيجابية مقارنة بالأولى.

¹ ينظر، حمدان رمضان أبو عاصي، (التطورات النظرية والمنهجية للنظرية التوليدية في نصف قرن)، ص 129.

² ميشال زكريا، الأسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ط2، بيروت - الحمراء - لبنان، مج المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1986 ص 16.

³ المرجع نفسه.

⁴ ينظر حمدان رمضان أبو عاصي، (التطورات النظرية والمنهجية للنظرية التوليدية في نصف قرن)، ص 129.

وتمثل ذلك في النموذجين؛ نموذج النظرية النموذجية، ونموذج النظرية النموذجية الموسعة.¹

أما المرحلة الأخيرة والتي أُخِصت في قسمين: نظرية العمل والربط وبرنامج الحد الأدنى، ومضمونها أن نظرية العمل والربط أو نظرية المبادئ والوسائط تشمل على مبادئ عامة التي تعم كل اللغات العالم - البشرية - أما الاختلاف بين نظم قواعد اللغات البشرية فيمكن معالجته من خلال التنوعات الوسائطية.²

ثالثاً: أثر التوليدية التحويلية في الكتابات العربية:

سبق وأن ذكرنا أن التوليدية التحويلية نشأت على أنقاض اللسانيات البنيوية، وهذه سنة الفطرة في البشر، فالنقد موجود، ووجوده كان من أجل التعديل، والتغيير، وهذا ما فعلته النظرية التشوميسكية التي سلكت نحواً مغايراً من الوصف القائم على استقراء المادة اللغوية، وتحليلها إلى الجمع بين الوصف والتفسير؛ والتفسير للغة هنا كان مركزاً من الداخل لا من الخارج، ولقد اهتم التوليديون على صياغة القواعد العامة تشمل كل اللغات العالم، وكثير من الباحثين اللسانيين توجهوا إلى هذا المنبع الاتجاهي. وللتقافة العربية حصتها في ذلك، وكانت انطلاقها في بداية السبعينيات من القرن العشرين³، وتطبيقات العرب على لغتهم شاهد كاف لإثبات تأثيرهم، ثم اتباعهم لهذا المنهج، وهذا واضح وجلي في كتاباتهم.

¹ ينظر حمدان رمضان أبو عاصي، (التطورات النظرية والمنهجية للنظرية التوليدية في نصف قرن)، 129 - 139.

² المرجع نفسه، ص 145-147

³ ينظر حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ط 1، بنغازي - ليبيا، دار الكتاب الجديد

المتحدة إفرنجي، 2009، ص 261.

وكتابات العربية ظهر فيها نوع من التسبب والتشتت في تطبيق نماذج التوليدية التحويلية على اللغة العربية؛ ومن بين أسبابها تعدد النماذج، مما يؤدي بالباحث إلى نقله نقلا سطحيا؛ بل يتجاوز هذا إلى وقوعهم في الخطأ لنقلهم لهذه النماذج، وسوء توظيفها في مجالها الذي وضع لها، وأيضاً من بين الأسباب قلة الترجمة من الموطن الأم إلى الموطن العربي؛ فقل الحجم والكم؛ والعلة من قلة الترجمة ترجع إلى مشاكل عديدة من بينها المصطلح.

وأيضاً هناك أسباباً أخرى لهذا التشتت والتسبب؛ وهي : نزول مستوى التكوين، والعلمي، والثقافي ، وعدم وجود تكوين لساني موحد. أيضاً التنوع، والتعدد في مصادر الاستيراد.¹ وفي ظل هذا التشتت والتسبب يمكننا التمييز في الكتابات العربية بين نوعين اثنين؛ محاولات توليدية جزئية، ومحاولات توليدية شمولية.

أ - محاولات توليدية جزئية: ونعني بها أن العلماء العرب والباحثين من ركز في دراساته للتوليدية التحويلية على نموذج واحد من النماذج أو أكثر من هذا الحد، فطبّقوها على لغتهم العربية، ومن أهم تلك النماذج: النموذج المعياري، والنموذج المعياري الموسع، ونحو الأحوال و... غيرها.

ومن بين اللسانيين العرب الذين كانت محاولاتهم للتوليدية التحويلية في كتاباتهم جزئية داود عبدة، وميشال زكريا وغيرهما.

1- داود عبدة: يعد من اللسانيين العرب الأوائل الذي درس منهج التوليدي التحويلي²، والمتصفح لكتابه دليل كاف يشهد للقارئ إنجازاته، وأعماله حول

¹ ينظر عبد القادر الفاسي الفهري، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، ط1، بيروت- لبنان، دار العرب الإسلامي، 1991، ص 16-17.

² ينظر حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 263.

هذا المنحى، وهي دراسات قاصرة غير كاملة؛ ومحصورة بين الصوت والتركيب، فلداود عبدة كتاب خاص بدراسة الأصوات العربية، كان بعنوان (دراسات في علم أصوات العربية)، لقد دعا إلى دراسة الصوت من الناحية التفسيرية، لكن دون أن يصرح بانتمائه إلى التوليدية التحويلية،¹ فالقارئ لو ركز جيدا في القضايا اللغوية التي درسها داود عبدة، وأهم الأساليب، والطرق التي استعملها، ووظفها أثناء دراسته لظواهر اللغة يكشف عنه المستور، ليتبين له ما كان غامضا، وغريبا عنده؛ وهو أنه منتمي إلى المدرسة التوليدية التحويلية. فقد اهتم كثيرا بالنموذج المعياري والنموذج المعياري الموسع. وأيضا نجده قد وظف أنواع آليات التحويل من حذف، وتعويض، وإضافة، وقلب.

كما وظف مبدأ البنيتين العميقة والسطحية؛² وإليك مقول منقول عنه على لسانه: >> يتطلب التفسير الصحيح لكثير من قضايا اللغة العربية أن نرد كثيرا من الكلمات إلى أصل أو بنية تحتية تختلف عن ظاهر اللفظ<<.³ هذا عن الصوتيات، كما نجده قدم دراسات عن التراكيب، وكان تركيزه على عامل الرتبة، واعتبر أن البنية الأصلية للجملة العربية كما يلي: **فاعل - فعل - مفعول به**. مخالفا به الكثير من اللغويين الذين اعتبروا أصل الترتيب بين عناصر الجملة العربية؛ **فعل - فاعل - مفعول به**.⁴ ومن هؤلاء عبد القادر الفاسي الفهري وميشال زكريا وخليل عمايرة <<.⁵ كما أنه قام بتحديد أشكال الجملة العربية بعد عمليات تحويلية؛ ورأى أنه رغم اختلاف اللغات وخاصة في ترتيب مكونات جملها

¹ ينظر حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 263-264.

² المرجع نفسه، ص 264.

³ المرجع نفسه، نقلا عن داود عبدة، دراسات في علم أصوات اللغة العربية، ص 15.

⁴ المرجع نفسه، ص 265.

⁵ المرجع نفسه، ص 265-266.

بالنظر إلى مواقعها (فعل-فاعل -مفعول به)، فإن العربية يجوز لها إظهار أي شكل من هذه الأشكال:

- أ. فعل - فاعل - مفعول به --- < (قرأ الرجل الصحيفة).
- ب. فاعل - فعل - مفعول به --- < (الرجل قرأ الصحيفة).
- ج. فعل - مفعول به - فاعل --- < (قرأ الصحيفة الرجل).
- د. مفعول به - فعل - فاعل --- < (الصحيفة قرأ الرجل).
- هـ. مفعول به - فاعل - فعل --- < (الصحيفة الرجل قرأ).

2- **ميشال زكريا:** يبدو تأثيره بهذا الاتجاه مجهوراً، وصريحا لما عرض قواعده، وساق لها أمثلة من العربية، وكان من أبرز تحليلاته ما تعلق بدراسة الجملة، وميز فيها بين مستويين العميقة والسطحية.¹ وإليك أشهر كتاباته الألسنية التوليدية والتحويلية، وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)؛ الذي ذكر في مقدمته غرضه من تأليفه لهذا الكتاب؛ الذي هو إمام القارئ بأبعاد النظرية التوليدية التحويلية حتى يتمكن من عملية التحليل للجملة العربية، والمتطلع لكتابه يراه أنه في الفصل الأول قد قام بعرض وبصورة موجزة الخطوط الأساسية لهذه النظرية، وقل ما مثل من العربية على هذا العرض الموجز السريع لأهم مبادئ وقواعد التوليدية.² وما وقع من التمثيل بالعربية في هذا الفصل: الجملة من حيث القبول والرد، فساق إلى القارئ مثالين من العربية: أبحر الإسكندرية من سعد اليوم إلى باريس - < هذه الجملة في رأيه غير مفيدة؛ لأن (الإسكندرية) و(سعد) موقعهما غير أصلي، فهو اختراق لناموس اللغة. وبعدئذ أتى بتصحيح؛ بعد إرجاعهما إلى مكانهما المناسب؛ حيث الأولى تأتي في محل جر، والثانية في

¹ ينظر حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 264.

² ينظر ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص 5 - 7.

محل رفع.¹ ثم ينتقل إلى إعطاء صور رتب لعناصر البنية الجمالية العربية المحولة من الأصل بعد تقديمه لجملة من الأمثلة، فرأى أن الجملة الفعلية العربية تأخذ أشكالاً مختلفة وهي: فعل - فاعل - مفعول به. / فاعل - فعل - مفعول به. / مفعول به - فعل - فاعل. وبعدئذ يذكر مبدأ الموقع ، وما يلعبه من دور في تحديده لوظيفة الكلمة ونختار من أمثله (مات الرجل) ؛ فالرجل فاعل لمجيئه بعد الفعل مباشرة.²

كما نجده قد قام بتعريف الجملة، وذكر نوعين منها الاسمية والفعلية، ثم حدد عناصر كل منهما، مثلاً عناصر الجملة الفعلية: فعل وفاعل ومفعول به، والعلاقة التي تربط بين كل عنصر علاقة إسناد، القائمة على ركنين أساسيين؛ (مسند ومسند إليه)، ولم يقف عند هذا الحد، بل تعدى إلى ركن التكلمة؛ والذي يتكون من عناصر لا ترتبط مباشرة بالفعل.

ويرى ميشال زكريا أنه لا ضرورة للالتزام بترتيب عناصر بنية الجملة في البنية العميقة مادام هناك ملائمة.³

وفي ختام كتابه تناول موضوع النعت، ورأى أنه يعمل عمل الفعل في الجملة، وإليك الأمثلة التي قدمها⁴:

- الرجل كريم
- الرجل جالس.
- الرجل مضروب.

¹ ينظر ميشال زكريا الأسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص 10.

² المرجع نفسه، ص 18.

³ المرجع نفسه، ص 28.

⁴ ينظر حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 271.

- الرجل قتال.

إن المتأمل للأمثلة الأربعة يكتشف أن المورفات (كرم ، جالس، مضروب، قتال)؛¹ تعمل عمل الفعل، فتوزيعها بهذه الطريقة يشبه توزيع الأفعال، فلو نقوم باستبدال هذه المورفيمات بمورفيمات الأفعال، نحصل على نفس التوزيع؛ وهاك طريقة الاستبدال:² الرجل كرم / الرجل جلس/ الرجل ضرب / الرجل قتل.

إذن نلاحظ أن ميشال زكريا في كتابه هذا قام بتحليل الجملة العربية وفق منهج التوليدي التحويلي؛ فاستعمل مبادئه و قواعده؛ حيث ميز بين الجمل الصحيحة تركيبيا والخاطئة دلاليا ومثل لها بأمثلة من اللغة العربية، كما أنه قام بالتمييز بين البنيتين العميقة والسطحية، وذكر أنواع الجمل وأهم عناصرها، وبين الفعلية منها والاسمية، وركنیهما الأساسيين المسند والمسند إليه، وربط بينهما بمبدأ التحويل، فأخذ ينقل بين العناصر، ويحذف، ويشتق من أجل تبثيق منها جملا أخرى محولة منها؛ أي من الأصل إلى الفرع ، كما خاض في الركن التكملة ..الخ.

رغم تطبيقه للنظرية التشومسكية على لغته العربية باستعماله لمبادئه وأسسها وقواعده إلا أنه أخفق في أخرى ، حيث استعمل البعض منها، وأغفل عن كثير من قواعد التوليدية التحويلية .

3- **صالح الكشور:** وإلى جانب ميشال زكريا باحثون آخرون طبقوا المنهج التشومسكي على العربية، وهو صالح الكشور، فقد ألف كتابا بعنوان (النحو

¹ حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 271.

² المرجع نفسه، ص 272.

التحويلي العربي)، وقام بتقسيمه باعتبار المواضيع؛ بحسب أنواع الكلم؛ اسم وفعل وحرف، وزاد على هذا التقسيم التجمد العبارات الجامدة، وأجرى عليها آليات التوليدية التحويلية (التحويل الصومتي الصرفي، والحذف، والاستبدال، والإدراج)¹، ورأى بأنه من خصائص الجمل البسيطة أنها قابلة للتحويل، وأن العلاقة التي تربطها بالبنى المحولة علاقة تكافؤ، كما ذهب إلى أن التحويل صوري ينقسم إلى لفظي ومعنوي، ورأى أن الحكم بوحدة المعنى معقد تعقيدا شديدا، فالتغيير هنا قائم على الجمل؛ أي التحويل من جملة إلى جملة أخرى لكن المعنى واحد لا يتغير، وهذا التحويل في رأيه كثير جدا في العربية، يكاد لا نحصيها ومن أمثلتها ما يلي²: **خطب زيد / ألقى زيد خطابا.** وهنا يعتمد التحويل على التأويل، عكس اللفظ.

أما تصنيفات التحويلات فقد عرفها واحدة واحدة، كما قام بتقديم أمثلة لها، وإليك تعريفاتها بالأمثلة³:

- أ. **تحويل الإدراج:** وهو زيادة كلمة أو تقديرها، مثل: الحاسوب > آلة الحاسوب > الحاسوب آلة.
- ب. **الحذف:** وهو الاختصار وهو عكس الإدراج، مثل: آلة الحاسوب < آلة الحاسوب.

¹ ينظر صالح الكشو، النحو التحويلي العربي الاسم والفعل والحرف، ط: بلا، تونس، مركز النشر الجامعي، 2002، ص 241-242.

² المرجع نفسه، ص 239-242.

³ المرجع نفسه، ص 241-242.

ج. **الاستبدال**: وهو النقل ، مثل :- أفضل الإخوة زيد < زيد أفضل الإخوة. ويدخل تحته محل الفاعل مفعولاً أو جعل العمدة فضلات..الخ.

د. **التحويل الصوتي الصرفي**: مثل :- كتاب = كتب.

هـ. **تحويل الاختصار**: ويدخل تحته الحذف أو اللواصق ، ومورفيمات

أخرى.¹

4- **عادل فاخوري ومحمد علي الخولي**: وأيضاً من التحويليين العرب عادل فاخوري، ومحمد علي الخولي، فكلاهما كتباً عن التوليدية التحويلية؛ فالأول له كتاب بعنوان : (اللسانية التوليدية والتحويلية)؛ أما الثاني فعنوان كتابه: (قواعد تحويلية للغة العربية)، كلاهما طرحا مسائل تحويلية؛ لكن الأول في واد، والثاني في واد آخر، اشتركا في الاتجاه، لكنهما اختلفا في طريقة العرض، وتقديم المبادئ والأسس، وأيضاً في اختيار نماذج من هذا التيار التوليدي.

نبدأ بإعراب كتاب الكاتب الأول عادل فاخوري، لقد انتقى من المنهج

التوليدي بعض من مبادئه وضمناها في كتابه هذا ، وتتمثل في :

1. **القواعد التوليدية²**: حيث استنبط عادل الفاخوري من الأمثلة التي طرحها مجموعة معادلات من القواعد، ورأى أن هذه القواعد تبدو محدودة، ومحصورة إلا أن المتكلم بواسطتها ينتج ويبدع من الجمل والتراكيب ما لا حصر لها؛ ويقول في هذا الصدد: >>...وأمثال هذه القواعد هي التي تفسر العمل الخلاق الذي

¹ ينظر صالح الكشو، النحو التحويلي العربي الاسم والفعل والحرف، ط: بلا، تونس، مركز النشر الجامعي ، ص 242.

² ينظر عادل فاخوري، اللسانية التوليدية والتحويلية، ط 1، بيروت- لبنان، دار الطليعة، 1980، ص 9- 20.

يتيح لناطق لغة ما أن يبدع عددا لا متناهيا من الجمل استنادا إلى عدد متناه من القواعد <<1.

2. **القواعد التحويلية:** وهنا قام عادل فاخوري بتحديد التغييرات التي تصيب عناصر البنية الجمالية باستعماله لمجموعة من الآليات (الحذف، والتقديم، والتأخير، والنقل، أو الاستبدال...) ، وأمثته في ذلك ما يلي:2

- زيد كبير الرأس ----->زيد كبير الإخوة.
- دفع المال من زيد ----->سرق المال من زيد.

نلاحظ هنا أن التحويل جاء عن طريق الاستبدال ، حيث تم في المثال الأول استبدال كلمة الواقعة مضافا إليه (الرأس) بكلمة أخرى (الإخوة). كذلك نفس الشيء للمثال الثاني؛ فالاستبدال وقع بين فعلين (دفع)----->(سرق).

- الشعر كاذب وعذب ----->الشعر كاذب والشعر عذب.3

في هذه الجملة حذف كلمة (الشعر)، والحذف جاء من أجل الاختصار .

3. **نظرية الدلالة التوليدية:**ومضمونها أنها تخضع لعدة تحولات، يتم خلالها

إدخال مفردات المعجم إلى أن يتوصل أخيرا إلى البنية السطحية؛ ولك الأمثلة 4:

- العنب ناضج
- يصير العنب ناضجا.
- ينضج العنب.

1 عادل فاخوري، اللسانية التوليدية والتحويلية، ص 10.

2 المرجع نفسه، ص22.

3 المرجع نفسه، 23.

4 المرجع نفسه، ص 64.

- تجعل الشمس العنب ناضجا.

- تتضج الشمس العنب.¹

من خلال النظر إلى الأمثلة السابقة، والتركيز عليها، يتبين بأنه يمكننا تقسيمها إلى ثلاث تقسيمات مختلفة في دلالتها؛ فالأول تدل على حالة حاصلة، أما المثالين اللذين يليهما؛ فهما متلازمان، ويدلان على حالة مازال حدثهما متواصلا.

أما الحديث عن محمد علي الخولي سيكون مثل ما قلناه عن عادل فاخوري؛ فهو لم يلم بكل قواعد ومبادئ التحويلية التوليدية، بل اكتفى بأخذ نماذج منها، والتعليق عليها، وكذا التمثيل لها بالعربية؛ فقد قسم كتابه هذا إلى ثمانية فصول؛ استهل كتابه بفصلين: الفصل الأول عبارة عن تمهيدات للدخول إلى النظرية التوليدية التحويلية، والفصل الثاني يمكن اعتباره نظريا، فهو انتقى مجموعة من مبادئ وقواعد هذا الاتجاه، وعرضها في هذا الفصل بالتعريف والشرح.

أما الفصل الثاني؛ فهو يكون قد اختار مجموعة من الأمثلة العربية، ومصنفة حسب أنواع الكلم (فعل واسم وحرف)، وحسب أنواع الجمل.... الخ. والمبدأ الذي وظفه في هذا الكتاب، والذي لعب دورا كبيرا لشرح مسأله؛ هو التحويل فالقارئ المتأمل في فهرس كتابه، والمتفحص له؛ يجد أن مصطلح التحويل مكرر وموزع في ثنايا فصول الكتاب، فقد ذكر جملة قوانين التحويل وقبل أن يعرضها قال: >> ويختلف اللغويون في ماهية الكيفية التي يجب أن تؤدي بها القوانين التحويلية وظيفتها. فلقد حصر بعضهم العمليات

¹ ينظر عادل فاخوري، اللسانية التوليدية والتحويلية، ص22.

التحويلية بالأنماط التالية : (1) الحذف ... (2) التعويض ... (3) التمدد ...
(4) التقلص ... (5) الإضافة ... (6) التبادل ¹.

يتضح من خلال قوله أن العمليات التحويلية بمنظور اللسانيين التحويليين يأخذ أشكالاً كثيرة لا حصر لها وكما هو مجسد في القول. فنجد مثلاً: تكلم عن التحويل بالحذف، وذكر مواضع الحذف؛ كحذف جار الفاعل أو المفعول، وحذف الفعل يكون، وحذف المفعول، والمبدأ، والمبديل منه، إلى آخره من التحذيفات.² كما نجده أيضاً تحدث عن التحويل بصيغة التقديم والتأخير؛ والذي تمثل في تقديم الفاعل، وتقديم الأداة، أو المكان،³ وأيضاً من صيغ التحويل التي وظفها في كتابه صيغة الاستبدال، لكن بمرادف آخر هو تبادل؛ كتبادل المفعولين، وتبادل الفاعل، والمفعولين، وتبادل الأداة، والفاعل.⁴

كما نجده استعمل لفظه المطابقة وهي موجودة عند التوليديين التحويليين، لكنه وظفها بمصطلح آخر هو التوافق، في قوله : توافق الفعلية والاسمية، ويقول في هذا السياق: <> هذا القانون يضع العبارة الفعلية في حالة توافق مع الفاعل الظاهري من حيث التذكير والتأنيث ومن حيث الشخص، أي المتكلم والمخاطب والغائب ... ولذا لا بد من وجود توافق بين العبارة الفعلية ... والفاعل الظاهري لتكون الجملة صحيحة نحويًا <>.⁵ هنا صاحب النص يتحدث عن مبدأ المطابقة الذي جاء به تشومسكي؛ وطبقه هنا على الجملة الفعلية بين الفعل

¹ محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، ط 1999، عمان، دار الفلاح للنشر والتوزيع، 1999، ص 23 - 24.

² المرجع نفسه، ص 94 - 134.

³ المرجع نفسه، ص 100 - 149.

⁴ المرجع نفسه، ص 99 - 147.

⁵ المرجع نفسه، ص 112.

والفاعل؛ حيث رأى أنه لا بد من وجود توافق بينهما من حيث النوع والعدد والجنس...إلخ.

كما تناول أنواع قوانين التحويل ورأى أنها نوعان إجباري و اختياري؛ وهذا ما نلمحه في قوله: >> سيوصف كل قانون تحويلي بأنه إجباري إذا كان تطبيق ذلك القانون إلزاميا على كل جملة يتوفر فيها الوصف التركيبي<<¹. ولقد عرض أمثلة كثيرة مع التحليل والشرح ذكر فيها حالات تقديم الفعل على الفاعل والمفعول معاً، وأيضاً ذكر حالات تقديم وجوبا المفعول به على الفاعل تارة، وتارة أخرى على الفعل، وصنفها ضمن مجموعة قانون التحويل الإجباري أما الأمثلة الأخرى خصها لقانون التحويل الاختياري.²

كما يمكننا أيضاً أن نلمح في كتابه عنصر الموقعية، لكنه لم يصرح بها، وإنما يستشف من خلال الحدس والفهم لأهم المسائل التي طرحها وكيف فصل فيها وشرحها.

إن ظهر في عادل الفاخوري أثر تأثره بالتوليدية التحويلية، وهذا واضح وجلي للمبادئ التي أتى بها، وقواعدها التي طبقها في لغته. لكنه رغم تأثره بهذا المنهج وتطبيقه على لغته العربية إلا أننا نلمح فيه نقصاً؛ وهو أنه لم يحط بكل ما أتت به هذه النظرية من نماذج، وقوانين، وقواعد؛ فهو اكتفى بانتقاء بعض منها، وتجسيدها، وإسقاطها على لغته.

¹ محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية ، ص 92.

² المرجع نفسه، ص 96-103.

هذا كله عن محاولات اللسانيين العرب الأوائل في نقل هذه النظرية، وإسقاطها على لغتهم. وهذه المرحلة هي محاولات توليدية جزئية. ننتقل الآن إلى المرحلة الأخيرة وهي محاولات توليدية شمولية.

ب- محاولات توليدية شمولية¹: ويعتبر عبد القادر الفاسي الفهري أشهر ممثليها، والمتتبع لكتابه العربية يتبين له أنه معظم القضايا التي أثارها، وتناولها جاءت مواكبة لتطورات الدرس التوليدي. وأيضاً للقضايا التركيبية والصرفية والمعجمية، ولكننا سنقتصر على أهمها. وإليك نماذج منها:-

1- قضية الرتبة: فقد اعتبرها الفهري مفتاحاً لفهم بها الظواهر التركيبية، واهتدى إلى أن الفعل يمثل رأساً، والفاعل مخصص له، والمفعول به فضلة. وترتيب الجملة تكون: ف، فاء، مف1، مف2. وقد ساق لها أمثلة عربية تتمثل في:

- جاء الولد
- أكل عمرو تفاحة
- أعطى زيد عمرو هدية

ويرى أن الفاعل يتوسط بين الفعل والمفعول به؛ وهو الأصل. وذكر حالة لا يجوز فيها تقديم المفعول به على الفاعل إذا كان ثمة لبس مثل: ضرب عيسى موسى.

وعبر عنها بالضرورة تقديم الفاعل على المفعول. وفي نفس الوقت ذكر نماذج عن تقديم المفعول به على الفاعل، ورأى بأنه إذا كان

¹ ينظر حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 282.

ثمة ضمير يعود على المفعول به كما في المثال: ابتلى إبراهيم ربه. أو
ضمير يعود على الفاعل كقولنا: دخل مكتبه زيد.¹

2- **قضية المطابقة:** نجد أيضا الفهري قد تناول مبدأ المطابقة؛ حيث ذهب إلى أنه إذا تقدم الفاعل على الفعل فهنا يجب أن يتطابقا في العدد والجنس مثل: الأولاد جاؤوا. أما إذا تقدم الفعل على الفاعل، فهنا لا يكون التطابق بين الفعل والفاعل مثل: جاء الأولاد.²

هذا وجهة نظره في الجملة الفعلية؛ أما وجهة نظره في الجملة الاسمية، فهو قد افترض له رابطا مقدرا بكان؛ وهدفه التوحيد بين الجمل الاسمية والجمل الفعلية .

¹ ينظر حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 286.

² المرجع نفسه، ص 287 - 289.

المبحث الثاني : الاتجاه التأصيلي الإسقاطي في البحث التوليدي العربي

أولاً: آراء الباحثين في ربط التراث اللغوي بالفكر اللغوي التوليدي التحويلي:

لقد قامت طائفة من الباحثين العرب بربط التراث اللغوي القديم بالفكر اللغوي الحديث، وقاسوهما بمكيال التقابل والمقارنة بينهما؛ للبحث عن أوجه تقارب و تماثل في بعض أو كثير من قضاياهما اللغوية، وقد أدى هذا بظهور فريقين ؛ الفريق الأول الذي ما زال إلى اليوم يتهم تراثنا اللغوي العربي بخلوه من التحليلات الجديرة ، وعدم تقديم العرب للملاحظات المتعددة والقيمة حول قضايا اللغة العربية، فأراؤهم، ومعطيائهم ناقصة ولا تصلح لشيء. وهذا ما نجده ماثلاً عند ميشال زكريا الذي يقول: >> فهذه الدراسات وإن دلت على المجهود الذي قام به اللغويون في مجال دراسة اللغة، وإن كانت تساعدنا على فهم بعض القضايا اللغوية لم تعد تفي في الحقيقة ، في مجال تحليل اللغة <<. ¹

إذن هذا النص يقدم تصريحاً واضحاً عن رفض الدراسات التراثية العربية بحجة أنها غير صالحة وغير مفيدة ونافعة، ولم تعد تفي بالغرض، وأن المعطيات التي وصفها النحاة ليست هي المعطيات نفسها التي في يومنا هذا.

أما الفريق الثاني فهو ضد الأول ؛ لقد حاول تسكيتته، وإثبات خطأ اتهام التراث العربي بالجفاف، وخلوه من الملاحظات الدقيقة والقيمة والتحليلات، بل هذا الفريق يثبت وجودها، ويعتبرها متطورة بالنسبة لزمانهم، وهذا الفريق يدعو بالعودة إلى

¹ ميشال زكريا، الأسنوية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص 5

مؤلفات العرب القدامى ؛ لملاحظة تلك الجهود التي قاموا بها الأوائل في مجال دراسة اللغة ،والعناية الدقيقة التي بذلوها في جمع أصول اللغة وشتاتها واستنباط أحكامها العامة. ومن هؤلاء محمد عبد اللطيف فيقول حماسة: >> وهذا النوع من المعالجة النحوية القديمة يفرض على الدارسين أن يقارنوا بينه وبين نظرية تشومسكي في النحو التحويلي التوليدي... إذ تتفق هاتان النظريتان في جوانب كثيرة <<. ¹

يتضح من خلال هذا القول أن بين النحو العربي القديم ونظرية تشومسكي تقارب في كثير من القضايا اللغوية والمسائل النحوية ، وهذا التقارب قدم له عبد اللطيف حماسة تفسيراً في قوله: >> ولعل هذا التقارب راجع كذلك إلى نوع من التأثير والاهتداء فصاحب النظرية الحديثة نفسه يصرح بأنه قبل أن يبدأ في دراسة اللسانيات العامة كان مشغولاً ببعض الأبحاث التي تدور حول اللسانيات السامية، وأنه قد درس هذا مع مستشرق يعرف العربية وآدابها هو الأستاذ فرانز روزنتال، وأنه كان مهتماً بالتراث العربي و العبري ... وقد كان أبوه متخصصاً في النحو العبري والعربي، وقد درس هذا النحو على يديه <<. ²

يبدو أن النظرية التي أتى بها تشومسكي نابعة من النحو العربي القديم في رأي بعض كتابنا بعد اطلاعه عليه عن طريق المستشرق العربي، و دراسته بين يدي والده، فمنهما أخذ النحو العربي، وظهرت نظرياته في نظريته الحديثة. والدليل الأقوى من هذا هو ما ذهب إليه عبد اللطيف حماسة في قوله: >> كما درس أثناء فترة طلبه بجامعة بنسلفانيا النحو العربي الحديث، والنحو العربي في القرون الوسطى <<. ³

¹ محمد حماسة عبد اللطيف، من الأنماط التحويلية في النحو العربي، ط 1، القاهرة، محكمة دار العلوم، الناشر مكتبة الخانجي، 1990، ص 5.

² المرجع نفسه، ص 11.

³ المرجع نفسه.

إذن نتج عن عامل اتصاله بعلم لغة العرب وآدابهم هذا التقارب. ونفس المذهب الذي ذهب إليه تمام حسان ، لكن بعد حيرة منه فيقول: << ما سر هذا التلاقي شبه التام بين رأي عبد القاهر في النظم...وبين رأي تشومسكي في البنية العميقة وما يتولد عنها من بنيات سطحية . هل كان ذلك منهما مجرد توارد خواطر، أو كان تأثرا من ناحية تشومسكي بفكر عبد القاهر؟ وإذا كان ذلك تأثرا فكيف وصل الأثر إلى تشومسكي مع اختلاف الدار والعصر واللغة والثقافة >>¹. لكن تمام حسان يجيب عن هذه الأسئلة التي يكون قد طرحها ؛ وهو ليس قصده أن يتهم تشومسكي، وينسب له تهمة النقل عن الجرجاني ، لكن هدفه من وراء ذلك هو إبراز مدى تأثره به لا بالنقل عنه ، ويقدم لنا دليلا ؛ سبق وأن ذكرناه في النص السابق قبل هذا النص لعبد اللطيف حماسة ، ودليله هو أن أباه كان من رجال الدين اليهود ،وعالم بالعربية ، ونحوه العبري استساغه من النحو العربي. ونظرا للقرابة التي بينه وبين أباه ساعده كثيرا على تحصيل هذا العلم ، ويكون قد ترجم له أبوه بعض أو كثير من قضايا النحو العربي ومن بينه النظم لعبد القاهر الجرجاني.²

وفي هذا الإطار ألفت كتب كثيرة ومؤلفات، وهي تمثل إسهاما جليلا في إلقاء الضوء على مدى النقاء الفكر اللغوي العربي القديم مع مناهج البحث اللغوي الحديث وخاصة المنهج التوليدي التحويلي، وهو الموقف الذي يتبناه مازن الوعر في كتاباته، ويراه ذا أهمية انفتاح البحث اللساني العربي على البحوث اللغوية التراثية، وأن إغفالها سينجر منه نقصا، ويترك ثغرات عميقة لا تتحل، ولكن ربطه القديم بالحديث لا يعني أنه جاهل لمنطلقات العرب الفلسفية بل على دراية بها، لكنه في نفس الوقت يعتبر

¹ تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ط1، القاهرة، عالم الكتب، ج 2، 2006، ص 343.

² المرجع نفسه، ص 343.

الماضي جزء لا يتجزأ لإكمال به هذا الحاضر.¹ وفي هذا المقام يقول: >> وهو الموقف الذي يتبناه مازن الوعر في كتاباته مؤكدا أهمية وضرورة انفتاح البحث اللساني العربي على البحوث اللغوية التراثية <<.²

ولقد جدّ لسانيو التراث في البحث عن النظرية التشومسكية في التراث العربي، للكشف عن التقارب والتماثل بينهما، وقد وجدوا الكثير من مبادئ المنهج التوليدي في النحو العربي القديم؛ ومن أمثال هؤلاء الراجحي الذي ألف كتابا بعنوان³ : (النحو العربي والدرس الحديث) ، وخص فصلا يعرض فيه أوجه التقارب والتناظر بين الطرفين - التراث العربي والاتجاه التوليدي التحويلي-، وأيضا نهاد موسى الذي حصر مواضع التوارد أو التشابه أو التقارب في المناهج ، بعد أن أبدى جملة من الملاحظات ، وساق لها أمثلة من واقع الدراسات التراثية العربية⁴ ، والشيء نفسه الذي ذهب إليه تمام حسان؛ حين وازن بين نظرية النظم الجرجانية، والفكر التشومسكي، فانتابته حيرة في نهاية المطاف؛ لما وجد تصادم في الأفكار بين الطرفين، وتماثل يكاد يكون طبق الأصل، مما أدى به إلى الشك، والبحث عن السبب؛ فوجد احتمالا أنه ربما تأثر بالجرجاني، باطلاعه على كتابته عن طريق مستشرق يتقن العربية، وكذا أباه الذي ربما يترجم له.

ويقول في هذا الموقف: >> ولكنني أشير فقط إلى بعض القرائن التي تدل على التأثير دون النقل. فالذي بلغني عن تشومسكي أن أباه من رجال الدين اليهود الذين يعرفون العربية معرفة جيدة ويعرف أن نحو اللغة العبرية قد تمت صياغته لأول مرة

¹ ينظر حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 319.

² المرجع نفسه، ص 319.

³ المرجع نفسه، ص 151.

⁴ ينظر أحمد فليح، (مشروع اللغوي النهضوي المعاصر... مثل من أعمال نهاد موسى)، جرش للبحوث

والدراسات، العدد الثاني، المجلد العاشر، 2006، ص 118.

في الأندلس الإسلامية على غرار نحو العربية. ومن هنا لا بد أن يكون له إمام بكتب النحو العربي <<¹.

وذهب أيضا نفس المذهب خليل أحمد عميرة الذي رأى أن سيبويه ومجموعة من نحاة العرب ظهرت فيهم أصول نظريات التوليدية التحويلية في قوله: << وإذا ما انتقلنا من كتاب سيبويه إلى غيره من كتب التراث فإننا نجد أن هذا البند يعد من أهم البنود التي قامت عليها كتب الأصول في النحو وفي ضوءه تم بناء النظرية النحوية فيها>>². فالبند هنا يقصد منه الكاتب النظرية التوليدية التحويلية، التي برز وجودها في ثنايا كتب أصول النحو.

ثانيا: قضايا تلاقي الفكرين؛ العربي والفكر تشوميسكي: تتمثل القضايا والمسائل والنظريات التي كانت نقاط التلاقي بين نحاة العرب ولغويهم، وبين النظرية التوليدية التحويلية التشوميسكية، فيما يأتي:

1- إعتراض تشومسكي على الوصفيين: إننا على يقين أن التوليدية التحويلية جاءت اعتراضا على الوصفية التي أسرفت إسرافا شديدا في وصف اللغة وهذا الانتقال من الوصفية إلى التفسير كان العرب سباقين إليه ويظهر ذلك عند ابن هشام في المغني للتحليل النحوي والذي سماها؛ جهات يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها وأيضا بارز عند سيبويه في باب اللفظ للمعاني³؛ ويقول في هذا الموقف: << اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين

¹ تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ص 343.

² خليل أحمد عميرة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، ص 256

³ ينظر أحمد فليح، (مشروع اللغوي النهضوي المعاصر... مثل من أعمال نهاد الموسى)، ص 119.

والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين <<¹. وسيبويه يعيب فيه على الاقتصار على ظاهر اللفظ دون المعنى، وهو ما أذن به تشومسكي في نظريته.

2- قضية الأصلية والفرعية: يقول خليل أحمد عميرة: <> من الأسس الرئيسية التي تقوم عليها نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية ... يمثل حجر الأساس فيها وهو الاعتماد على أصل وفرع في الجمل<>². ولكن ظهر هذا عند النحاة العرب في مسائل عدة التي تناولوها كـ: النكرة أصل والمعرفة فرع لها، وكذا الجمع فرع على المفرد، والمفرد أصل والجمع فرعه ... إلى آخرها من هاته المسائل.³ ومن هؤلاء النحاة سيبويه الذي ذكر في كتابه مواضع كثيرة عن الأصل والفرع، مع الشرح والتمثيل لها⁴؛ فمثلا هو يرى أن الأشياء كلها في الأصل مذكر، وما حملت دلالة التأنيث فهي فرع لها، خرجت عن الأصل، وأيضا يرى أن أصل الأشياء نكرة ثم تعرف؛ إما بأل التعريف وإما بالإضافة أو العلم وغيرها ويقدم لها تفسيراً؛ ألا وهو أن التذكير أو التنكير أشد تمكنا من التأنيث أو التعريف.⁵

لقد قدم لنا خليل أحمد عميرة مجموعة من الأمثلة التي تشير إلى الأصل

والفرع وتتمثل فيما يلي:

أ- <> الأصل: قول، والفرع: قال، وإن لم يكن الأصل مستعملا

ب- الأصل: بيع، والفرع: باع، وإن لم يكن الأصل مستعملا

¹ سيبويه، الكتاب، ص 24.

² خليل أحمد عميرة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، ص 255 - 256.

³ ينظر حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 152.

⁴ ينظر خليل أحمد عميرة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، ص 256.

⁵ المرجع نفسه.

ت- الأصل: ردد، شدد، والفرع: رد، شد، وهما مستعملان <1>

وأيضاً هناك من اللغويين العرب الأوائل من تطرق إلى قضية الأصل والفرع، وهو ابن فارس؛ في كتابه الصحابي في فقه اللغة، وقد ذكرها في التمهيد والتي تعتبر من القضايا اللغوية المعاصرة وخاصة التوليدية التحويلية.² وقد قال فيه حسام البهنساوي: <> إن ابن فارس... يتفق مع ما ينادي به العالم اللغوي الشهير: نعوم تشومسكي رائد النظرية التوليدية التحويلية <>.³ ثم يعقب قوله بـ : <> إن تقسيم ابن فارس الباحثين إلى قسمين على النحو السابق، يتفق مع ما ذكره تشومسكي عن مراحل التطور في البحث اللغوي <>.⁴ ورأينا أن العرب تناولوا مسألة الأصل والفرع في الجمل لكنهم لم يتوقفوا عند هذا الحد، بل تناولوها من مستويات أخرى؛ صوتية و صرفية، فمثلاً: صوت النون يخرج من أصلته ليصبح له فروعاً على الأصل كقولنا: منفك، من رأى، منقلب، من يئس... الخ .

وهذا المذهب هو المذهب نفسه الذي نجده عند تشومسكي حين يدرس الصوت من هذه الناحية، لكن دراسته هاته صاغها من رومان جاكسون، هذا الأخير الذي فرق بين الفونيم والألوفون، فالفونيم هو الأصل والألوفون هو الفرع.⁵

¹ خليل أحمد عميرة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي ، ص 258.

² ينظر حسام البهنساوي، التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث، ط 1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2004، ص 16.

³ المرجع نفسه، ص 16.

⁴ المرجع نفسه، ص 17.

⁵ ينظر خليل أحمد عميرة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، ص 258.

لكن هذا ليس جديداً عند أعلام هؤلاء الغربيين بل موجود في تراثنا عند العرب وخاصة علماء التجويد، وكذلك عند النحاة حين درسوا مسائل صرفية من إبدال وإعلال وقلب ونقل وغيرها من مسائل الصرف، وإليك بعض أقوال من نحاة العرب في هذا المقام: يقول سيبويه: >> وهذه اللغات دواخل على قيل وبيع وخيف وهيب، والأصل الكسر كما يكسر في فعلتُ <<¹. هنا سيبويه طرح مسألة الأصل والفرع؛ لما قدم أمثلة عربية وبين أنها فرعية خرجت عن الأصل، بحكم مخالفتها للوزن؛ فالأصل قولت، بوعت... الخ. فحذف منها أحرف العلة لتقلها.

3- تركيز تشومسكي على الجمل: وذهب إلى أنها قمة الدراسات، وأنه على اللغوي أو النحوي أن يرتكز عليه أولاً، ثم تأتي في المقام الثاني مستويات الصرف والصوت والدلالة، وتعد أحدث النظريات.

والشيء نفسه الذي قام به سيبويه في كتابه الكتاب حين جعل أبواب النحو ومسائله في أول الكتاب، وقام بتأخير المستويات الصوتية والصرفية والدلالية، فهو لم يفعل كما فعل البنيويون؛ بدؤوا بأدنى وحدة حتى انتهوا إلى الأعلى وهو التركيب.²

4- البنية السطحية والبنية العميقة: إن نظرة مقارنة دقيقة بين تشومسكي ونحاة العرب القدامى في مسألة البنيتين السطحية والعميقة يبين لنا بأنهم لم يكونوا يعيدون عنها، ويظهر ذلك عند اهتمامهم باللفظ والمعنى، ومحاولاتهم للربط بينهما؛ من أجل الوصول بأبحاثهم إلى قواعد وأنظمة لإنتاج وابتداع من الجمل

¹ سيبويه، الكتاب، ص 348.

² ينظر حسان البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ط: بلا،

القاهرة، 1994، ص 21-22.

والنصوص ما لا حصر لها . ومن هؤلاء الذين جاهدوا في ذلك ابن المقفع وابن قتيبة وقدامة والأمدي وابن رشيق وعبد القاهر الجرجاني¹؛ وهذا الأخير في نظريته النظم، استطاع أن يسبق تشومسكي في نظريته، حين فرق بين النظم والترتيب والبناء والتعليق فجعل النظم للمعاني في النفس وهو نفسها البنية العميقة عند تشومسكي، والبناء هو البنية السطحية بتعاقب الكلمات وتجاورها وترتيبها.²

ويقول بلعيد صالح في هذا المقام: >> ميز الجرجاني في الجملة بين البنية الظاهرية، وبين البنية العميقة وأشار إلى القواعد التحويلية التي تربط بينهما، ولم يتوسع الإمام الجرجاني في شرح البنية العميقة والسطحية ... لأن ذلك معروف جيداً في علم النحو منذ بداية وضع النحو العربي <<.³ يبدو من خلال مقولة صالح بلعيد أن البنيتين العميقة والسطحية التي أتى بهما تشومسكي جذورهما يضرب في أقدم تاريخ الدراسات اللغوية العربية؛ فهما موجودتان منذ وضع العرب للنحو ونشأته وتدرجه عبر مراحل، ونظراً لمعرفة العرب لهاتين البنيتين قلل الجرجاني عن الحديث عنهما والتوسع فيهما بالشرح؛ لأنها عادة فيهم.

وبعد هذا القول نجده ينتقل إلى تقديم أمثلة ليثبت وجودها منذ فترة الوضع النحو العربي في قوله: >> فقد أشار النحويون مثلاً إلى أن كان وأخواتها فعل ناقص يدخل على المبدأ والخبر فيرفع الأول ويسمى اسمها وينصب الثاني

¹ ينظر وليد محمد مراد، تطور الجهود اللغوية في علم اللغة العام، ط 1، دمشق - بيروت، دار الرشد، بيروت لبنان، مؤسسة الإيمان، 1984، ص 271-272.

² المرجع نفسه، ص 30-31.

³ صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص 220 - 221.

ويسمى خبرها، فإذا أخذنا جملة (كان زيد قائماً) فهذه بنية ظاهرية وتقابلها البنية العميقة (زيد قائم).¹

5- اللغة نظام عقلي: لقد نحا الجرجاني حين دراسته لقواعد اللغة نحو عقلياً مثله، مثل تشومسكي في نظريته، فالقواعد عندهما عبارة عن نظام ذهني؛ ويصرح الجرجاني ذلك في قوله: >> ليس الغرض بنظم الكلم، أن توالى ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل <<². وقال أيضاً: >> وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس <<³.

6- القدرة اللغوية أو الكفاءة اللغوية: والتي تتمثل في الملكة التي يمتلكها المتكلم أو المستمع المجيد للغة، وبها تعينه على توليد من اللامتناه من الجمل والعبارات، وهي مبدأ من مبادئ النظرية التوليدية، لكن أثرها نجدها عند عبد القاهر الجرجاني حين ميز بين نوعين من النظم؛ الأول حين أوجب على متكلم اللغة مراعاة صحة القواعد ليكون كلامه صحيحاً وسليماً، ويتحقق له ذلك لما ترسخ في ذهنه تلك القواعد مما يجنبه الوقوع في الخطأ⁴، وتتجلى صحة هذا المذهب في قول الجرجاني: >> اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت

¹ صالح بلعيد، التركيبة النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص 221.

² الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 49-50.

³ المرجع نفسه، ص 49.

⁴ ينظر حسان البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ص 31-

فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها >>¹. ثم نجده يقدم وجوها للخبر فكلمها صحيحة وغير هذه الوجوه معناها الخروج عن المؤلف وبالتالي الوقوع في الخطأ، والكلام بها معناه فاسد وغير صحيح ويقول في هذا الموقف: >> وذلك ... أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها / في قولك: "زيد منطلق" و "زيد ينطلق" و "ينطلق زيد" و "منطلق زيد" و "زيد المنطلق" و "المنطلق زيد" و "زيد هو المنطلق" و "زيد هو منطلق" >>². ونجده أيضا يعرض وجوها للشرط والجزاء في قوله: >> "إن تخرج أخرج" و "إن خرجت خرجت" و "إن تخرج فأنا خارج" و "أنا خارج إن خرجت" و "أنا إن خرجت خارج" >>³.

أما النوع الثاني الذي أشار إليه عبد القاهر الجرجاني هو اختراق المتكلم لنظام قواعد اللغة فيختل كلامه، ويدخله الفساد، وليوضح هذه الفكرة قدم مجموعة من أشعار الفرزدق والمنتبي وأبي تمام، يؤكد من خلالها فساد نظمها؛ لأنها خرجت في نظمها على معاني النحو، وتمييز الجرجاني لنوعين من النظم بين الصحة والفساد نفسه عند تشومسكي حين رأى أن الجملة قد تكون صحيحة تركيبيا وخاطئة دلالة أو صحيحة تركيبيا وسليمة دلالة.⁴

7- التحويلية: المنهج التوليدي التحويلي اعتمد على مبدأ التحويل الذي يقوم بنقل البنية العميقة من المجرد إلى السطح عن طريق التحقق الصوتي وقواعد تحويلية مختلفة، وهذه الفكرة نفسها التي نجدها مجسدة في كتابات العرب

¹ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 71.

² المرجع نفسه.

³ المرجع نفسه.

⁴ ينظر حسان البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ص 23-

القديمة ، فقد قاسوا الكلام المنطوق على هذا النموذج المجرد¹، ومن هؤلاء الذين تعرضوا إلى التحويلات التي تربط بين البنيتين: الجرجاني وقدم أمثلة عن ذلك ونكتفي نحن بمثالين اثنين توضيحا مما سبق وإليك ذلك :

1- (اشتعل الرأس شيبا) شيبا فهذه بالنسبة له بنية سطحية، والبنية العميقة هي: (اشتعل رأس الشيب).

2- (كأن زيدا الأسد) فهذه بنية ظاهرة، وتقابلها البنية العميقة (زيد كالأسد)، تقديم الكاف إلى صدر الكلام².

8- ضرورة الربط بين النحو والبلاغة: لقد ذهب الجرجاني إلى ضرورة ربط النحو بالدلالة، وضرورة اعتماد المكون التركيبي على المكون الدلالي، ونجده يطرح رأي فريقين؛ حيث ذهب الأول إلى أهمية التركيب دون الدلالة، أما الثاني فالعكس، وفي نفس الوقت يعلق على كل طرح طرحه، ويخرج في الأخير بنتيجة هو ضرورة الاهتمام بهما معا دون إغفال أو قصور أحدهما عن الآخر، ونجد تشومسكي هو أيضا دعا إلى هذا الرأي؛ وهو ضرورة إدخال المكون الدلالي ، لكنه تأخر في إدراكها³، ويقول حسام البهنساوي في هذا المقام: >> تلك العلاقة التي تأخرت النظرية التوليدية التحويلية في إدراكها ، ومعرفة أهميتها ... والذي ظهر بعد كتابه الأول بعشر سنوات. حيث أدرك تشومسكي ضرورة إدخال المكون الدلالي ، باعتباره مكونا تفسيريا، من أجل إلقاء الضوء على المكونات التركيبية <<⁴.

¹ ينظر محمد حماسة عبد اللطيف، من الأنماط التحويلية في النحو العربي، ص 21.

² ينظر صالح بلعيد، التركيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص 221 - 222.

³ ينظر حسان البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ص 37

⁴ المرجع نفسه.

9- الكلام الأصولي والكلام غير الأصولي: لقد ميز سيبويه بين استقامة الكلام

واستحالته، مستخدماً لذلك مجموعة من مصطلحات؛ (الحسن، الكذب، القبيح) وهي قائمة على مبدئين اثنين أساسيين؛ المستقيم والمحال، وانتهى بنتيجة مفادها وهو أن الكلام المستقيم موزع في ثلاثة أنواع؛ الحسن والكذب والقبيح، وأما الكلام المحال فهو على أحد النوعين؛ المحال والمحال الكذب. إذن فالكلام عنده قسمان؛ الكلام المستقيم والكلام المحال، وهذا ما يقابل عند تشومسكي مصطلحي: الكلام الأصولي والكلام غير الأصولي، فالمستقيم أو الكلام الأصولي ما كان مقبولاً، أما المحال أو الكلام غير الأصولي هو ما كان غير مقبولاً¹، هذا يعني أن سيبويه هو السباق إلى هذا التصنيف لكن الفرق فقط في التسمية. إليك قول سيبويه: >> هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب <<².

10- قضية العامل: ويكاد يكون العامل الذي عند تشومسكي هو نفسه عند

النحاة العرب³، فقد اعتمد تشومسكي على عنصرين اثنين في نظرية العامل والمتمثل في الأثر والمضمر، والتفاعل الكائن بينهما فهو يرى أن العامل في المفعول به هو الفعل والعامل في الفاعل سماه الصرفة؛ أي صفات التطابق والزمن والجهة، وقد حدد تشومسكي نوعان من المركبات الاسمية؛ حرة إحالية، ومربوطة إحالية، ثم قسمها إلى نوعين باعتبار العمل وهما: مركبات معمول

¹ ينظر حسان البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ص 47 -

49.

² سيبويه، الكتاب، ص 25.

³ ينظر حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 152.

فيها، ومركبات غير معمول فيها ، كما أن العوامل عنده الفعل والحرف بالدرجة الأولى.¹

ولكن هذه النظرية غير جديدة فهي قديمة، وموجودة عند العرب، فأوائل النحاة أدركوا التفاعل الذي يكون بين الوحدات اللغوية من حروف وأفعال وأسماء، وهذا التفاعل سماه النحاة بالعامل. وأول من أدرك هذه النظرية هو الخليل بن أحمد الفراهيدي لما وقف بين حروف اللغة العربية وأصواتها، وأخذ بتفقدتها ؛ فبيّن تآلفها وانسجامها تارة، وتارة أخرى تنافرها وتباعدها، وفي نفس الوقت يلحظ تأثير عجيب فيما بينها، كما حدد درجات التفاوت من حيث قوة وضعف هذا التأثير الحاصل بينها ، كما كشف تأثير الأصوات فيما بينها؛ كالإدغام والإبدال وغيرها. وأيضا أدرك أن لبعض الحركات تأثيرا في بعض وأشار لذلك إلى الإتياع.²

يقول حسان البهناوي: >> لقد وصل الخليل ... إلى دراسة جديدة ... تتعلق بأسباب تغيير أواخر الكلمات بتغيير موقعها في التراكيب ...أساس هذه الدراسة، هو الكشف عن المؤثرات المختلفة التي تؤدي إلى مثل هذا التغيير، هذه المؤثرات، هي العوامل<<.³ ثم ينتقل إلى قوله: >> أن فكرة العامل في النحو العربي، قد نشأت نشأة لغوية حقا ابتداء من التأثير والتفاعل بين الأصوات والحروف ، وانتهاء بالمؤثرات الفاعلة في تغيير أواخر الكلمات داخل التراكيب المختلفة<<.⁴ ثم ذهب إلى تأكيده أن أبواب النحو العربي لا يكاد يخلو من هذه

¹ ينظر حسان البهناوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ص 54 - 57.

² المرجع نفسه، ص 58-59.

³ المرجع نفسه ، ص 59.

⁴ المرجع نفسه.

الظاهرة؛ أي العامل، فهو يمثل الروح في الجسم لا ينفصل عنه، فإذا انفصل أصبح للجسم لا قيمة له فمثله مثل العامل داخل كتب النحو عند نحاة الأوائل، فهي محورها الأساسي.

11- قواعد الحذف: وأيضا مسألة الحذف التي أتى بها صاحب الاتجاه التوليدي نفسها المسألة التي عند النحاة العرب وهذا ما أكده الراجحي¹ وأثبت وجهة نظره بسببويه؛ في قوله: >> واعلم أنه ليس كل حرف يظهر بعده الفعل بحذف فيه الفعل، ولكنك تضرر بعدما أضمرت فيه العرب من الحروف والمواضع وتظهر ما أظهره... وليس كل حرف يحذف منه ويثبت فيه نحو يك ويكن، ولم أبل وأبال<<².

12- قواعد الزيادة: وهي عادة العرب وسنتهم في طريقة وأسلوب كلامهم، فكثيرا ما يلجئون إلى هاته الظاهرة لأسباب كثيرة نذكر أهمها: التوكيد، قوة الربط... الخ وأمثلتها: حروف الجر الزائدة، وضمير الفصل، وأيضا زيادة كان، إن أو أن وما... الخ من الأمثلة العربية.³ وهذه الظاهرة نجدها كثيرا في كتب الصرف والنحو وإليك قول سببويه: >> هذا باب علم حروف الزوائد وهي عشرة أحرف: فالهمزة... والألف... وأما الهاء... والياء... وأما النون<<⁴

13- قواعد إعادة الترتيب: هذه الظاهرة لا تخفى علينا، فقد اهتم العرب بها وبالغوا فيه أيما مبالغة، بل أسرفوا في استخدامه في كلامهم أثناء تواصلهم فيما بينهم وهذا بارز كثيرا في كتبهم التي تركوها لأهل زمانهم ولمن بعدهم فلو تصفحتها وبحثت عنها في الصفحات لوجدتها تكاد لا تخلوا منها فهي إن صح

¹ ينظر حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 152.

² المرجع نفسه، نقلا عن الكتاب، ج 1، ص 134.

³ المرجع نفسه، ص 153.

⁴ سببويه، الكتاب، ج 3، ص 235-236.

التعبير روحها؛ حيثوا تحدثوا عن التقديم والتأخير بين عناصر الكلمات وهي مركبة ، وبينوا حكمها من حيث الوجوب والجواز ، والعلة من التقديم والتأخير والأغراض البلاغية منها، ونجدها كثيرا بين طرفي الإسناد المسند والمسند إليه؛ بين المبدأ والخبر في الجملة الاسمية ، كما نجدها بين طرفي الإسناد وعنصر من عناصر الفصلة كتقديم الفصلة (المفعول به) على الفاعل من جهة ومن جهة أخرى على الفعل والفاعل معا ...الخ.¹ وهاهو الراجحي يأتي بدليل من الواقع التراثي العربي ليجعله حجة لمذهبه الذي ذهب إليه ؛ حيث استدل بسيبويه ورأى أنه تناول هذه المسألة وأسهب فيه.

خلاصة:

وخلاصة هذا الفصل أن المنهج التوليدي التحويلي أخذ مسلكين رئيسيين؛ فالمسلك الأول يتمثل في نقل هذا المنهج التوليدي التحويلي بقواعده ومبادئه وأساسه إلى البيئة العربية ثم تطبيقها على اللغة العربية.

وقد أخذ المنهج التوليدي التحويلي في هذا المسلك اتجاهين اثنين؛ فالأول كان عبارة عن تطبيق الباحثين العرب له في لغتهم جزئيا، قائم على نموذج واحد أو بعض من النماذج، ومن أسماء بعض أعلام هؤلاء العرب: داود عبدة، وميشال زكريا، وأيضا عادل فاخوري، و محمد علي الخولي.

فدراساتهم لم تأت شاملة أو جامعة مانعة، بل اكتفوا باننقاء بعض قواعد المنهج التوليدي التحويلي ثم تطبيقها على العربية. كوسائل التحويل من حذف وتقديم وتأخير واستبدال ومطابقة بين الفاعل وفاعله، وأيضا إخضاع عناصر الجملة الفعلة والاسمية

¹ ينظر حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 153-154.

إلى قانون التحويل الإجباري والاختياري؛ بتقديم عناصر جمل الفعلية أو الاسمية بعضها على بعض إما وجوبا وإما جوازا.

أما الاتجاه الثاني فمحاولات تطبيق المنهج التوليدي التحويلي كانت شمولية ويبرز ذلك عند الفهري، الذي تحدث عن قضية الرتبة وحدد من خلالها أشكال الجمل الفعلية والاسمية كما تناول مسألة المطابقة بين الفعل والفاعل وقدم أمثلة عن ذلك.

وهناك مسلك ثاني سلكه الباحثون العرب والمتمثل في حمل تلك القواعد التوليدية التحويلية إلى البيئة العربية والبحث عنها في الفكر العربي وإبراز مدى تلاقي هذين الفكرين. ومن هؤلاء العرب الجرجاني ونظريته النظم الذي طرح المسائل نفسها التي طرحها تشومسكي، كالبنية العميقة والبنية السطحية والتحويل بكل أنواعه؛ من حذف ونقل واستبدال وغيرها. وهذا ما أدى باللسانيين التراثيين العرب إلى الشك كتمام حسان، بل منهم من اتهم الغرب بأنه كانوا جماعين لنظريات العرب القديمة وإعادة صياغتها من جديد لتبدو في النهاية نظريات جديدة.

الفصل الثالث

الاتجاه التداولي العربي الحديث

* أولا : الكتابات التمهيدية عن التداولية العربية

* ثانيا : الكتابات التراثية وتطبيق المناهج

الغربية على النصوص العربية

المبحث الأول: الكتابات التمهيديّة عن التداولية العربية

أولاً: الاختلاف حول مصطلح التداولية:

تعد اللسانيات التداولية من أحدث الاتجاهات اللغوية التي ظهرت وازدهرت على ساحة درس اللساني الحديث والمعاصر¹، فهي مدرسة فلسفية كان ظهورها بالولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر الميلادي، ثم تطورت بعدها مباشرة من فترة الحرب العالمية الثانية إلى يومنا هذا.²

وقد اعتنى بها اللغويون المحدثون أيما عناية، وجاهدوا واجتهدوا من أجل أن يحيطوا بكل أبعادها وتجسيدها، كما حاولوا إيجاد لها القواعد الكلية التي تحكم الاستعمال.³

والتداولية منذ بداياتها لم تكن علماً لغوياً محضاً، تقوم بوصف اللغة من جميع مستوياتها اللغوية، وتفسيرها؛ وإنما كانت علماً فريداً من نوعه يختلف كثيراً عن العلوم الأخرى؛ فهي جاءت من أجل دراسة اللغة من حيث هي في الاستعمال، فهي تركز على عناصر الكلام المرسل والمتلقي، وما بينهما من علاقة اجتماعية، وما يملكه من

¹ ينظر باديس لهويل، (التداولية والبلاغة العربية)، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد السابع، بسكرة - الجزائر، 2011، ص155

² ينظر جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ط1، 2015، ص 5

³ ينظر خالد بن عبد الكريم بسندي، المخاطب والمعطيات السياقية في كتاب سيبويه، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، العدد 2، جمادى الأولى 1433هـ/نيسان، م 7، 2012، ص 13.

معلومات مشتركة، وأيضاً تركز على الزمان والمكان، والظروف التي من أجلها أنتج الخطاب، إلى غيرها من هذه الأمور.¹

ولقد ضمت عدة تخصصات ونظريات وأفكاراً، كالفلسفة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، واللسانيات، والبلاغة، وغيرها. وهذا التعدد أدى بها إلى الاختلاط، ووقوعها في الاضطراب والفوضى، فطرحت حولها إشكالات لا حصر لها، وكثيرون يرونها علماً غامضاً ومعقداً لتعدد مصطلحاته و مفاهيمه.

ومصطلح التداولية ترجم إلى العربية بعدة ترجمات نذكر أبرزها؛ الذرائعية، والتداولية، والبراكمانية، والوظيفية، والاستعمالية، والتخاطبية، والنفعية، والتبادلية، والاتصالية، والمقصدية، والمقامية، وغيرها من المصطلحات، فهي كلها ذات مفهوم واحد. لكن أفضلها وأشهرها على الإطلاق؛ وشائع بين الدارسين في ميدان اللغة واللسانيات هو مصطلح التداولية.²

ومن اللسانيين العرب المحدثين الذين استخدموا هذا المصطلح طه عبد الرحمن، ويعد من أوائل الباحثين العرب في استخدامه، لكن بصيغة جمع المؤنث السالم، ويذكر سبباً لهذا الاستخدام في قوله: >> وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح (التداوليات) مقابلاً للمصطلح الغربي (براغماتيقاً)، لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالاته على معنيين (الاستعمال) و (التفاعل) معاً، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم <<.³

¹ ينظر أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ط 1، إربد - الأردن، عالم الكتب الحديث، 2015، ص 1.

² ينظر جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ص 5.

³ طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، ط 2، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، 2000، ص 27.

ونجد أيضا أحمد متوكل استخدم مصطلح الوظيفية؛ لكنه اعتبره مرادفا لمصطلح التداولية، وهما ذو مفهوم واحد، وقد قال في هذا المقام: >> اتخذ البحث اللساني في بلادنا مناحي متعددة رادها وأسهم في إغنائها وتطويرها باحثون من مستوى رفيع ... من أبرز هذه المناحي المنحى البنيوي والمنحى التوليدي والمنحى الوظيفي ... سنقصر الحديث على الاتجاه الوظيفي<<¹.

كما نجد من الأعلام العرب آخرين يستخدمون مصطلحات أخرى غير مصطلح التداولية: كـ سعد البازغي وميجان الرويلي اللذان استعملتا نفس المصطلح؛ والمتمثل في الذرائعية وهو مجسم في كتابهما (دليل الناقد الفني)². وأيضا محمد محمد يونس الذي فضل استخدام مصطلح علم التخاطب، فهو ذهب إلى أن اللسانيين العرب الذين استعملوا غيره قد وقعوا في حفرة الوهم، فضلوا السبيل لما اعتبروا كل المصطلحات ذا مفهوم واحد، وهو يبرر اختلاف معانيها باختلاف السياقات؛ لهذا السبب - في نظره - يرى أن التخاطب أنسب المصطلحات ويقول في هذا الموقف: >> أفضل ترجمة ... بعلم التخاطب، وليس بالتداولية أو النفعية أو الذرائعية كما يفعل عدد من اللسانيين العرب توهما منهم بأن ... شيء واحد ... ولذا فإن ترجمة ... بعلم التخاطب أنسب في رأيي من الخيارات التي اطلعت عليها حتى الآن<<³.

أما جميل حمداوي فوقف موقف وسط، حيث وازن بين المتخاصمين في اختيار بين المصطلحين التداولية والتخاطبية، فقد سوى بينهما وجعلهما واحد، وفضلهما على مصطلح الذرائعية؛ هذا الأخير الطابع الغالب عليه الفلسفة، ويقول في هذا المقام:

¹ أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، ط1، ساحة المأمونية - الرباط، مكتبة دار الأمان، 2006، ص 59.

² ينظر سعد البازغي وميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، ط 2، بيروت - لبنان، المركز الثقافي العربي، 2000م، ص 100.

³ محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص 102

>> وعلى أي حال، سواء أخذنا بالتداولية أم بالتخاطبية، فالمصطلحان معا أفضل بكثير من مصطلح الذرائعية الذي يحيل على الفلسفة المنفعية أكثر مما يحيل على اللغة ومكوناتها اللسانية <<¹.

ثانياً: التداولية في البيئة العربية الحديثة

إن المتصفح لكتابات العرب، والبحث في متونها عن أثر التداولية بمقوماتها وخصائصها وأسسها ومبادئها وقواعدها؛ يتضح لنا أن من الدارسين العرب والباحثين من اهتموا بهذا الاتجاه ولكن أغلبهم مغاربة وجزائريون وتونسيون، والاتجاه التداولي دخل العالم العربي عبر جامعة محمد الخامس بالرباط، حيث شكلت مجموعة البحث في التداوليات واللسانيات الوظيفية، وبفضل هذه المجموعة وجهود أعضائها المبذولة استطاع هذا المنهج أن يضرب بجذوره في الوطن المغربي، ويحاول أن يستقر فيه. وقد ساعدته في الانتشار وسائل متعددة وهي محصورة في أربعة؛ البحث الأكاديمي، والندوات الدولية التي تعقد داخل المغرب وأيضاً التدريس وعملية النشر. وهذه العوامل أدت به إلى توسيعه، ليشمل جامعات أخرى: كجامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء، والمحمدية، وجامعة مولاي إسماعيل، وغيرها من الجامعات. وما زاد من حدة اتساعه أكثر؛ أن تم تمديده إلى القطاع التعليم عن طريق الكتاب المدرسي بقرار من مفتشي التعليم الثانوي، وقد ألقت عليه كتبا كثيرة وأنشأت رسائل جامعية بمختلف الأطوار.²

ولم يتوقف هذا كله عند الوطن المغربي بل امتد ساع ذراعه إلى الأقطار العربية الأخرى. والكتب المؤلفة والبحوث المغربية هي الوسيلة ليصل إليهم هذا المنهج.³ ويقول في هذا المقام أحمد متوكل: >> كان المغرب جسرا لعبور النحو الوظيفي إلى

¹ جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ص 6.

² ينظر أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، ص 61 - 62.

³ المرجع نفسه، ص 62.

أقطار عربية أخرى حيث منه وبفضل المؤلفات والبحوث المغربية دخل الجزائر وتونس وموريتانيا والعراق وسورية بدرجات متفاوتة في التبني ورقعة الانتشار¹. ورغم هذا الذبوع والانتشار للمنهج التداولي إلا أن هذا غير كاف؛ فمكتبتنا العربية الحديثة تعاني فراغا كبيرا ونقصا رهيبا في الكتب والدراسات، وما ألف منها على منوال التداولية تكاد لا تقي بالغرض، ولا تسد حاجتنا العلمية². ولكن إذا طرحنا إشكالية وقلنا هل ثمة منهج تداولي يظهر فيه نوعا من الازدهار على الجانبين النظري والتطبيقي؟ كان الجواب يمكن ذلك لكن بشكل لافت في المغرب العربي (المغرب، والجزائر وتونس)؛ والتي انطلقت من خلفيات معرفية متنوعة (مصدرا ومرجعا ورؤى وتصورا)³.

ثالثا: الكتابات التداولية العربية الحديثة

لقد ظهر في العالم العربي مجموعة من الدارسين والباحثين تظهر عليهم معالم اهتمام بالتداولية بكل أبعادها ومبادئها وقواعدها. والشيء الذي يؤكد لنا أكثر هو كتاباتهم؛ والتي هي خير دليل لإثبات صحة مذهبنا. ولك التفاصيل في ذلك.

1- في سيمياء الشعر القديم لمفتاح: لقد تحدث عن بعض المفاهيم التداولية في هذا الكتاب كالمقصدية عند حازم القرطاجني، والمعاني الجمهورية، والوضوح، واحترام العقدة بين المتكلم والمخاطب، وهي ما يسميه التداوليون بمبدأ التعاون، بما يعنيه من قواعد: الكمية، والكيفية، والعلاقة، والجهة⁴.

¹ أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، ص 62.

² ينظر مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني

العربي، ط 1، بيروت - لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2005، ص 9.

³ ينظر جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ص 43.

⁴ المرجع نفسه، ص 42.

2- تحليل الخطاب الشعري لمحمد مفتاح: لقد خص للبعد التداولي فصلا كاملا، وهو الفصل السابع، حيث تناول فيه التفاعل بين المتكلم والمخاطب. وقام بذكر مجموعة من التيارات التداولية والمتمثلة في؛ تيار موريس الذي اهتم بذاتية اللغة والبعد التواصل والسياسي،¹ وتيار فلاسفة أكسفورد الذي اهتم بدراسة أفعال الكلام، ومن أشهر هؤلاء أوستن وسيرل في تمييزهما بين الأقوال الخيرية والأقوال الإنجازية، وتيار التوليديين الذي ركز على علاقة النص بالسياق، وتيار السرديين القائم على عنصر منطق السرد.²

3- الوظائف التداولية في اللغة العربية لأحمد المتوكل: لقد اهتم في كتابه هذا على الجانب التداولي وخاصة وهو متأثر بفان ديك وهاليداي، وقسم كتابه إلى جزئين كبيرين؛ الجزء الأول يحمل فصلين اثنين والجزء الثاني يحتوي على ثلاثة فصول. تناول فيها نوعين من الوظائف؛ النوع الأول: الوظيفتان الداخليتان؛ وهما البؤرة والمحور، والنوع الثاني: الوظائف الخارجية وهي تتمثل في: المبتدأ والذيل والمنادى.

وإليك قول أحمد متوكل: >> تقتضي ظاهرة التبئير في اللغة العربية أن يميز بين نوعين اثنين من البؤرة (بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة)، كما تقتضي أن يفرق، بالنسبة لكل من بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة، بين البؤرة المسندة إلى مكون (بؤرة المكون) والبؤرة المسندة إلى الحمل برمته (بؤرة الجملة) <<.³ هذا نموذج واحد فقط من بين نماذج كثيرة وقد مثل لها بأمثلة مع الشرح والتفسير الدقيق.

¹ ينظر جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ص 42.

² المرجع نفسه.

³ أحمد متوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ط1، الدار البيضاء- المغرب، دار الثقافة، 1985 م، ص 64.

وأيضاً له عدة كتب تناول فيها جوانب من التداولية ويبدو أنه ركز فيها على الأدوار النحوية والأدوار الدلالية والأدوار التداولية؛ منها اللسانيات الوظيفية مدخل نظري¹، وكتاب المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد؛ وهذا الكتاب الأخير قدم فيه رأياً؛ حيث رأى أنه يمكن تقسيم الفكر اللساني إلى تيارين أساسيين: تيار صوري والذي لا يكاد يتعدى في دراستها بنية اللغة، وتيار وظيفي يربط اللغة بالوظائف التي تؤديها في المجتمعات البشرية، ويقصد هنا البعد التداولي². وتداوليته تتجلى في جملة من المبادئ العامة التي طرحها وساق لها أمثلة مع الشرح وهي تتمثل فيما يلي:

أ. **أدائية اللغة:** حيث يذهب إلى أن الوظيفة الأساسية للغة تحقيق التواصل داخل المجتمعات البشرية، عن طريق عبارات لغوية ومثاله في ذلك؛ كتاباً أعطيت هذا بالضغظ اللسان على كلمة كتاباً

هنا يبين أحمد المتوكل المقصدية من تقديم المفعول به على الفعل والفاعل؛ ويرى بأنه تصحيح المعلومة، أما الحفاظ على الترتيب الأصلي لعناصر الجملة الفعلية؛ فالقصد منه إفادة المخاطب بمعلومة جديدة وهو كان لا يعلمها³.

ب. **وظيفة اللغة الأداة:** والتي تتمثل في تحقيق مستخدميها لها أغراضاً متعددة؛ بالتعبير عنه، أو التأثير بها في السامع، إما بهدف إقناعه أو ترغيبه أو ترهيبه، وغيرها من الأغراض. لكن رغم اختلافها وتعددتها إلا أنها كلها تصب في وعاء واحد ألا وهو التواصل. ويقول أحمد

¹ ينظر جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ص 42.

² ينظر أحمد متوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 19.

³ المرجع نفسه.

المتوكل في هذا الموقف¹: >> إلا أن هذه الأغراض وإن تعددت واختلقت من حيث طبيعتها آوية إلى وظيفة واحدة هي تحقيق التواصل بين أفراد مجتمع ما <<². ثم يحدد الدور الذي تلعبه الأدوات غير اللغوية مع تضافرها باللغة في قوة تحقيق عملية التواصل.³

ج. اللغة والاستعمال: وهما مترابطان رغم اختلافهما، واختلاف خصائص العبارات باختلاف الوسائط الاجتماعية كجنس المخاطب وسنه وطبقته ومنطقته البيئية.⁴ ويرى أحمد المتكلم أن العبارات يختلف استعمالها بحسب اختلاف درجة المتكلم والسامع:

(تساوي درجتها) <---- ناولني الملح من فضلك.

(المخاطب أعلى درجة من المتكلم) <----- هل تستطيع أن

تناولني الملح من فضلك ؟

(وضع المخاطب دون وضع المتكلم) <----- ناولني الملح! أو

الملح!

4- إستراتيجية الخطاب، مقارنة لغوية تداولية لعبد الهادي بن ظافر الشهري: ولقد

تناول فيه؛ مفهوم المنهج التداولي، وإستراتيجية الخطاب، والسياق، وطرح

العوامل المؤثرة في هذه الاستراتيجيات، ثم يقدم تصنيفات للإستراتيجيات والتي

منها؛ التوجيهية، والتضامنية، والتلميحية، والإقناع، وفي الأخير ختم كتابه

بآليات الإقناع والحجاج.⁵

¹ ينظر أحمد متوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 20.

² المرجع نفسه، ص 21.

³ المرجع نفسه.

⁴ المرجع نفسه.

⁵ ينظر جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ص 43.

رابعاً: أهم قضايا اللسانيات التداولية في الكتابات العربية: في حقيقة الأمر لا يمكننا الإلمام بكل القضايا التداولية المطروحة في الاتجاه التداولي، لأسباب لا يمكن حصرها وتضييقها في دائرة مغلقة، منها ما قصصناها في بحثنا هذا ومنها ما لم نقصصها. ولا عيب إن أعيدت ذكرها هنا في هذا المبحث؛ لأن للتكرار تأكيداً وتثبيتاً؛ ومن بين هذه المشاكل التي كانت حائلاً بينها وبيننا لذكر تلك كل القضايا التداولية؛ اتساع مجالها، وتعدد بيئة نشأتها ... ونظراً لوجود هذا العذر نكتفي بذكر أهم نقاطها الأساسية وهي ملخصة فيما يأتي:

أ. أفعال الكلام: وهي القضية الأولى نشأة في اللسانيات التداولية.¹ يقول نواري سعودي أبو زيد: >> اللغة لا تستعمل فقط لتمثيل العالم، ولكن تستعمل بالمقابل في إنجاز أفعال؛ أي إن الإنسان المتكلم وهو يستعمل اللغة، لا ينتج كلمات دالة على معنى ، بل يقوم بفعل، ويمارس تأثيراً، وهذا انطلاقاً من مناداة رواد المدرسة الفلسفية التحليلية (أوستين - سيرل) <<.² ومجمل القول: أن الأفعال الكلامية تتجاوز الأقوال والملفوظات إلى الفعل الإنجازي والتأثير الذي يتركه.

إن نحن أمام ثلاث عناصر أساسية في الأفعال الكلامية لا تقوم إلا بها؛ فالعنصر الأول هو (فعل القول)، الذي يشتمل على الصوت والصرف والتركيب، مثل (أشكرك يا علي)، ثم يأتي العنصر الثاني ألا وهو الفعل المتضمن في القول ويسمى الفعل الإنجازي مثل: (اصبر يا محمد)، الذي الغرض منه الأمر، أما العنصر الأخير فهو ما يخلفه القول من أثر لدى السامع أو المتلقي من فعل القول؛ كإقناع، أو حث، أو تضليله ... وغيرها من الآثار

¹ ينظر خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط 2، جامعة سطيف - الجزائر، بيت الحكمة، 2012، ص 72.

² نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، ط 1، سطيف - الجزائر، بيت الحكمة،

2009، ص 26 - 27.

الجانبية. وهذه العناصر تكون مطروحة جملة واحدة في آن ومكان واحد وهما يكون تكامل الفعل الكلامي. وفي هذا الموقف يقول جميل حمداوي: >> وتحضر هذه المستويات الثلاثة للفعل الكلامي جميعها في الوقت ذاته، وبدرجة متفاوتة، هي التي تجعل هذا الفعل الكلامي كاملاً <<¹.

والجديد في هذه القضية أن أوستين ميز بين نوعين من الجمل؛ الخبرية والإنجازية، وهذه الأخيرة تتنوع إلى؛ أقوال ظاهرة وأقوال مضمرة، كما أنها قد تكسب قوتها من الحرفية؛ مثل: التمني، والتعجب، والاستفهام، وغيرها من الأساليب، أو قد تكسب قوتها من الحوار، أو السياق؛ كالتحسر، والتهديد، وغيرها من نظائر هذه الصور. كما قد تتعدد أساليب الأفعال الإنجازية من المباشرة إلى غير المباشرة.²

ب. الافتراض المسبق: في كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم. تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة.³ من خلال هذا النص تتضح لنا الرؤية التي لم تكن من قبل واضحة، فعملية التواصل بين الطرفين؛ المتكلم والسامع، تحكمها مجموعة من الظروف، والتي هي سبب في نجاحها، فبدونها لا تكتمل عملية الدورة الكلامية بين الباث والمتلقي ولا تتم؛ فهنا لا بد من اشتراكهما في المعرفة والثقافة، وامتلاكهما للمعلومات وأفكار ومعطيات مفترضة، وتكون معترفة ومتفقة بينهما؛ هذا من أجل تحقيق نجاح عملية التواصل فمثلاً إذا قلنا أغلق

¹ جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ص 24.

² المرجع نفسه، ص 25.

³ ينظر مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني

العربي، ص 30 - 31.

النافذة أو لا تغلق النافذة، فعندنا خلفية افتراض مسبق مضمونها أن النافذة مفتوحة.¹ إذن الافتراض المسبق له دور كبير وأهمية بالغة في عملية التواصل يعتمد عليه السامع وينطلق منه كي يبلغ إلى غاية المتكلم. فانهدام الفرضية المسبقة وخلو ذهن السامع من المعطيات والمعلومات المشتركة بينهما يؤدي به إلى سوء التفاهم وبالتالي فشل عملية التواصل.

ج. الأقوال المضمرة: والمقصود من هذه القضية؛ أن التركيب الواحد قد يفهم منه معاني ودلالات متعددة ومختلفة تخرج عن حدها، مما يؤدي بالسامع إلى الوقوع في اللبس يصعب له الخروج منه وكم هي كثيرة مثل هاته النماذج في الواقع الذي نعيشه .

إذن يمكننا القول أن الأقوال المضمرة عبارة عن احتمالات فممكن المقصود موجود ضمن هاته الاحتمالات وممكن عكس ذلك فالأقوال المضمرة هي كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث² وللتوضيح أكثر نأتي بمثال في قولنا: (إن السماء ممطرة)؛ قد يضع السامع في ذهنه عدة اعتقادات من بينها: المكوث في بيته، الانتظار إلى وقت توقف المطر، أو الحرص من نسيان مظلمته ... وغيرها من الاحتمالات.³

د. الاستلزام الحواري: يعرف الاستلزام الحواري بأنه <>...واحدا من أهم الجوانب في الدرس التداولي<>⁴. فهو قائم على المعنى المستنتج؛ فإذا كان

¹ ينظر أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ص 20.

² ينظر مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني

العربي، ص 32.

³ المرجع نفسه.

⁴ محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 32.

معلوماً من طرف الباث والسامع فهذا افتراض مسبق، وإذا كان الاستنتاج غير معروف من قبل السامع فهذا هو الاستلزام الحواري.¹ وفي هذا السياق قال شاهر الحسن: >> فإذا كان المعنى المقصود من العبارة مبني على الاستنتاج، وإذا كان المستنتج معلوماً للمتكلم، والمخاطب، فإن هذا الاستنتاج يدخل في إطار الافتراض المسبق، أما إذا كان المعنى المستنتج غير معروف للمخاطب مسبقاً، فإن الاستنتاج يدخل في إطار تضمين المحادثة " الاستلزام الحواري" <<.²

يبدو أن صاحب القول قد ميز بين أمرين الافتراض المسبق والاستلزام الحواري وربطهما بحال السامع، فرأى أنه أي السامع إذا أدرك الاستنتاج فهو افتراض مسبق، وإن كان جاهلاً بها فهذا هو الاستلزام الحواري. ومثالنا عن الاستلزام الحواري في حوار بين الطالب والأستاذ؛ يسأل الطالب أستاذه: طهران في تركيا أليس هذا صحيحاً يا أستاذ؟ فيجيبه الأستاذ طبعاً، ولندن في أمريكا! هنا الأستاذ يريد أن يلفت طالبه بأنه على غير صواب، فأتى بمثال خاطئ، وقدمه للطالب لينبهه أن موقع طهران ليس في تركيا.³

إن حصر القضايا التداولية غير ممكن لتشعب هذا الاتجاه واتساعه، وتعدد تياراته، وتضارب الآراء ووجهات النظر بين الباحثين، كما يرجع السبب أيضاً إلى غرابة المنهج وغموضه، والفوضى في المصطلحات وغيرها من الأسباب.

¹ ينظر أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ص 22.

² المرجع نفسه، ص 22.

³ ينظر محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 36.

المبحث الثاني: الكتابات التراثية وتطبيق المناهج الغربية على النصوص العربية

أولاً: آراء ووجهات نظر محدثين في مسألة حضور قضايا تداولية في التراث العربي

إن الكتب اللغوية الحديثة سجلت محاولات كثيرة لإعادة قراءة التراث اللغوي العربي، فهم يرون أنه من واجب كل دارس، وباحث عربي تصفح تراثهم اللغوي وإعادة قراءته؛ إحياء لهذه الدراسات ولأصحابها، فهي موروثاتنا من جدودنا، هي جزء منا، هي هويتنا الفكرية والحضارية، فلا يجوز نبذها والتخلي عنه، وما تركه علماء العربية القدامى كنز لا ينفذ أبداً.

لقد كان هناك من الباحثين الغربيين من كان منصفاً في هذه القضية، فأثبتوا وأكدوا مدى أهمية التراث اللغوي العربي، والدور الذي لعبه في كل المجالات؛ الصوتية، والصرفية، والمعجمية. هم يرون أن تحليلاتهم ومعطياتهم مازالت صالحة. فعدد كبير من اللسانيين العرب المحدثين ربطوا بين الفكرين؛ اللساني المعاصر والفكر اللغوي العربي التراثي، وهذا من أجل إثبات أن لغويتنا العرب القدامى هم السباقين إلى كثير من أصول ومفاهيم وتحليلات اللسانيين الغربيين؛ إذاً كثير من النظريات اللغوية المعاصرة لها أصول في التراث اللغوي والنحوي، وخاصة التداولية.¹ وهذا الرأي نفسه الذي نجده في قول خليفة بوجادي: >> ذلك أن دراسة اللغة في التراث العربي ميزتها بعض السمات التي هي من أهم المبادئ التداولية الحديثة <<.²

¹ ينظر محمد بن صالح وحيد، (اللسانيات والتراث النحوي إشكالات منهجية وإستمولوجية)، الندوة الدولية الثانية قراء التراث الأدبي واللغوي في الدراسات الحديثة، الرياض، 2014، ص 412 - 416.

² خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 114.

ويقول أيضا في سياق آخر: >> وقد تعددت أشكال الاهتمام بدراسة الخطاب والإقناع، فتناولوا نص الخطاب في ذاته ودرسوا ما يرتبط بالمخاطب وطريقة أدائه، والمخاطب وطريقة تلقيه ومطابقة الخطاب لمقتضى الظاهر<<¹.

إن هذا تأكيد واضح لوجود المنهج التداولي في الدراسات اللغوية العربية القديمة والذي ظهر في أشكال عدة؛ في لحظة التواصل بين الأطراف؛ المتكلم والمخاطب، فالتكلم يختار الألفاظ التي توافق الموقف، والتي تؤثر في السامع حسب غرض المتكلم من وراء إنتاجه لهذا الكلام، كالإقناع، والحث، والتخويف... وغيرها من الأغراض.

إن النحاة والفلاسفة المسلمين، والبلاغيين والمفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلماء، رؤية واتجاها أمريكيا وأوروبيا، فقد وظف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة²

ونفس المذهب الذي ذهب إليه أحمد المتوكل الذي اعتبره اتجاها فريدا من نوعه في التراث العربي، وقد تمثلت مصادر التفكير التداولي اللغوي في؛ علم البلاغة، والنحو، والنقد، والخطابة.³

ويرى نواري سعودي أبو زيد أنه ليس منصفًا إنكار التراث، وإهمال الدراسات اللغوية التي جاءت فيه، فهو في نظره ظلم وإجحاف في حقها، ويؤكد أن مبادئ التداولية حاضرة فيه؛ لكن بتسميات أخرى ومفاهيم غيرها ويقول في هذا السياق: >> إلا أننا من باب الإنصاف أيضا، ومن قبيل عدم التكرار للذات، نشير إلى أن جل

¹ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 114.

² ينظر محمد سويرتي، اللغة ودلالاتها تقريبا تداولي للمصطلح البلاغي، مجلة عالم الفكر، العدد 3، مج 28، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، 2000، ص 30.

³ ينظر خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 114.

مبادئ التداولية الحديثة حاضر في تراثنا العربي، ولو بمصطلحات مغايرة... وذلك من بداية طلائع الدرس اللغوي مع سيبويه، وصولاً إلى النقاد والبلاغيين المتأخرين <<1>.

يتضح من خلال هذه الأقوال أن ثمة دراسات تداولية في التراث العربي القديم وتشارك معها في كثير من القضايا والمبادئ، خاصة في عنصر التواصل والعناصر الأساسية المساعدة لإنجاز هذه العملية؛ والمتمثلة في: المتكلم، والمخاطب، ومقاصد الكلام وغاياته، وكذلك السياق الذي يحكم الكلام بالنظر إليه من المؤثرات الخارجية التي تؤثر فيه من علم، ومعرفة، وثقافة المخاطب أو المتكلم، ودرجة كل منهما من هذه الأمور، كما أيضاً السياق يدخل فيه عادات وتقاليد المتكلم والمخاطب.

وهذا ما تعلله وتفسره تلك المقولة البلاغية المشهورة، والتي ترددها الألسن، وتناقله الأجيال عبر الزمن من مكان لمكان، والمتمثل في: << لكل مقام مقال >>² أو << مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته >>³.

ثانياً: علاقة البلاغة العربية بالتداولية

إن المتصفح لكتابات التداولية العربية الحديثة، والبحث عما سجلوه ودونوه حول نقاط تلاقي بين الفكرين؛ التداولي والفكر البلاغي، لتبين له أن في ثناياها ما يثبت للعقل البشري مدى اهتمام البلاغيين بالمبادئ التداولية وأسسها وقواعدها ويظهر ذلك جلياً في استعمالهم للغة بأساليب وطرق متعددة وبفنية عجيبة وإليك آراء الباحثين في ذلك .

¹ نوارى سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، ص 31 - 32.

² السكاكي (أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي)، مفتاح العلوم، ط 1، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، 1983، ص 168.

³ القزويني (جلال الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن الخطيب)، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، الإيضاح في علوم البلاغة، ط: بلا، صيدا بيروت، المكتبة العصرية، 2004، ص 16.

قام خليفة بوجادي بعرض لنا واقع البلاغة العربية وربط تطورها بفترة بعد استواء الشعر العربي، وأنها لم تبلغ هذه الدرجة إلا بعد دخولها مجال النقد والدراسات القرآنية، وفي هذا السياق يقول بوجادي: << من أهم العلوم... في الدرس العربي القديم، البلاغة، إذ تمثل علما للاتصال، يتناول كل ما يرتبط باستعمال اللغة وممارساتها >>¹. ونفس المذهب الذي ذهب إليه فضل في قوله: << البلاغة والتداولية البرغماتية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي >>².

إن البلاغة تركز على جانب التواصل القائم على مجموعة متضافرة من العناصر لحظة عملية التواصل والمتمثل في؛ المتكلم، والمخاطب، والعناصر الخارجية المساعدة في استمرار هذه العملية؛ كفضاء المكان والزمان، والأمور المحيطة بالمرسل والمرسل إليه في محيطها؛ من عادات وتقاليد وثقافة وعلوم ومعارف وغيرها.

ونفس المذهب الذي ذهب إليه فهد صالح شاهين قائلاً: << فعلم البلاغة من أهم العلوم التي تؤكد الارتباط بين دراسة اللغة واستعمالها في سياقها التداولي، للوصول إلى قوتها الإنجازية، والبلاغة والتداولية تتفقان في اعتمادها على اللغة ووسيلة حاجية للتأثير على المتلقي >>³.

ثم نجد بوجادي يطرح رأياً مهما لفت انتباه القارئ إذ ثمة خلط بين الباحثين في مسألة التمييز بين العلمين التداولية والبلاغة وصعوبة التفريق بينهما، مما أدوا بهم إلى اعتبارهما علما واحدا لا فرق؛ فيعرفون البلاغة في كثير من الأحيان هي التداولية كما

¹ خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص 126.

² صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ط: بلا، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978، ص 89.

³ أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ص 35.

في قول لبيتش: >> أن البلاغة تداولية في صميمها؛ إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما، مستخدمين وسائل التأثير على بعضهما <<¹.

ومن مظاهر التداولية في البلاغة العربية، اهتمامها بالتراكيب العربية وتتبع ظواهرها وعلاقتها بالخطاب، والظروف التي أنشأت من أجلها هذا الخطاب، ودور عنصري المكان والزمان وتأثيره في التخاطب، وهذا ما جعلهم يحكمون على كلامهم بالقبح أو الحسن، كما جعلهم يدركون مواطن الخطأ في المعاني أو الدلالات المختلفة التي يفرزها عنصر السياق، وأيضا ركزوا على العلاقة التي تربط بين المتكلم والسامع وما يملكان من معرفة مشتركة بينهما.

وفي هذا السياق يقول صالح شاهين: >> موضوع علم البلاغة هو دراسة العلاقة بين تراكيب الكلام، ومقتضى الحال، التي تقتضي رصد حال المرسل، والمتلقي، وما بينهما من علاقة اجتماعية، ورصد ظروف الخطاب ... وهنا يتلاقى المحور التداولي مع الدرس البلاغي... ويأتي مفهوم البلاغة العربية بعبارة "مقتضى الحال"، والتي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية "لكل مقام مقال" <<².

وفي مثل هذا المضمون يقوم السكاكي بربط بين المقام والخطاب في حديثه عن لكل مقام مقال، ويرى أنه أي خروج لهذا السياق الموضوع له لا يعد تركيبيا؛ كونه غير مطابق للسياق، وبالتالي لا تصل الغاية إلى السامع على أكمل وجه، ويكون المتلقي بعدئذ قاصرا للفهم. وإليك قول السكاكي في هذا المضمون: >> لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين الشكاية، ومقام التهئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم ... وكذا مقام الكلام مع الذكي يباين مقام الكلام مع الغبي

¹ سعيد حسن بحيري، علم اللغة النص المفاهيم والاتجاهات، ط 1، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2004، ص 23.

² أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ص 35.

... فلكل كلمة مع صاحبها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال <1>.

ونضيف إلى الشرح السابق أن السكاكي فطن إلى أن اللغة همزة وصل بين المتكلم والمخاطب، ويجمعها ثقافة مجتمعهما، وعاداته، وتقاليده، والظروف المحيطة فيه، مع عنصر الزمان والمكان، كما فطن إلى أن الكلام وجد من أجل مقاصد وغايات يقوم بها المرسل، ودور السامع في فهم هذا الخطاب بكل استراتيجياته المحصورة به. وأن نجاح عملية الكلام تتوقف عند قوة المتكلم في استخدامه للنظم النحوي، وحسن تعامله مع الأساليب البيانية؛ لأن ذلك يساعد المتلقي في عملية الفهم وإدراك مقصدية المرسل <2>.

ثالثاً: أهم القضايا التداولية الحاضرة في الدراسات العربية القديمة

إن الدراسات العربية القديمة لا تخلو من التنظير التداولي وتطبيقاتها فكم اشتركت في قضايا كثيرة وخاصة البلاغة التي أوهمت الباحثين بأنها التداولية نفسها. هذه النقاط المشتركة بينهما جعل بعض الكتاب يستصعب التفريق والفصل بينهما، ومن هذه القضايا ما يلي:

- **أفعال الكلام:** ويعد مسعود صحرأوي من الباحثين الذين كانت محاولاتهم قائمة على قضية واحدة أفعال الكلام ويقول في هذا السياق: << هذا، وقد بحثت ظاهرة "الأفعال الكلامية" في تراثنا العربي ضمن "نظرية الخبر والإنشاء"، فمن النحاة والبلاغيين

¹ السكاكي، مفتاح العلوم، ص 168-169.

² ينظر أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ص 36-37.

الذين تعرضوا لها: ... سيبويه ... الجرجاني ... السكاكي ... وغيرهم¹. هنا يريد إثبات وجود نظرية أفعال الكلام عند العرب القدامى؛ سواء بلاغيين كانوا أم نحويين أم غيرهم. وقد قام بإحصاء عدد منهم، ولم يذكرهم كلهم. لقد اكتفى بذكر أسماء بعض منهم كسيبويه، والجرجاني، والسكاكي، وغيرهم. كما نجد أيضا مسعود صحراوي يؤكد أنه حتى الأصوليين والفقهاء اشتغلوا بهاته الظاهرة، في طرق تطبيقهم لها على نصوصهم القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة؛ فكثيرا ما يلجئون إلى تغيير معاني القول من مقام إلى مقام آخر، وكما أن هذه الظاهرة بارزة في ألفاظ العقود عندهم. ولم يتوقف مسعود صحراوي عند هذا الحد بل قفز إلى حد آخر مخبرا أنه حتى الفلاسفة والمناطق اهتموا بهذا الجانب، وميزوا بين الخبرية، وغير الخبرية، ثم يعرض للقارئ بعدئذ أسماء بعض الفلاسفة والمناطق².

وفي الأخير نجده يؤكد أن طائفة كبيرة من اللسانيين بحثوا في تراثهم عن هاته الظاهرة، فكان بحثهم كالهباء المنثور لا معنى ولا قيمة له. فنظرية أفعال الكلام تتكلم عن أمور ثابتة يجب التقيد بها، وهؤلاء الباحثون تجدهم يخرجون أنفسهم عن قيود هذه النظرية فينحرفون عنها وبحوثهم شاهد على ذلك.

يقول في هذا السياق: >> وعليه، فإن ظاهرة "الأفعال الكلامية" قد بحثت في تراثنا من قبل طوائف متعددة، غير أن البحث ... لم يكن مقصودا دائما لذاته ... فاتخذت الظاهرة - من ثم - وسيلة لا غاية ... مما قد يبعث الشك في "قيمة" النتائج التي توصلوا إليها وفي "علميتها"³.

¹ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني

العربي، ص 6 - 7.

² المرجع نفسه .

³ المرجع نفسه، ص 7 - 8.

وأيضاً يظهر أفعال الكلام في التراث العربي القديم عند سيبويه في كتابه المشهور الذي أخرجه للناس بعنوان: (الكتاب)؛ لما ميز في الكلام بين المستقيم والمحال والذي قال في هذا السياق: >> هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسأتيتك غدا. وأما المحال فأن تتقضى أول كلامك بآخره فنقول: أتيتك غدا، وسأتيتك أمس. وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر، ونحوه. وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت... وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس<<¹

فالنوع الثاني من أفعال الكلام هو (الكذب) وقد تكلم عنه أوستين في نظريته؛ ونعني الأفعال الواصفة، حيث يكون الكلام به غير موافق للواقع وليس نفسه حقيقة الأمر، لأنه خروج عن المؤلف في مثل: (حملت الجبل - شربت ماء البحر).² فهذان القولان من الناحية النحوية صحيحة، أما دلالياً ففيه تعارض.³

وكذلك أفعال الكلام هي نفسها الأساليب الخبرية والإنشائية التي تحدث عنها العرب قديماً في مؤلفاتهم، وأسرفوا فيها كثيراً وجمعها حسن في قوله: >> والدليل على انحصار الكلام المفيد في الخبر والإنشاء، أن الكلام: إما أن يحتمل لذات الكلام لا لمقتضيات أخرى - أن يقال فيه هو مطابق للواقع أو غير مطابق للواقع، فهو الخبر. وإما أن لا يحتمل أن يقال فيه ذلك باعتبار منطوقه، لا باعتبار دلالاته اللزومية، فهو

¹ سيبويه، الكتاب، ص 25 - 26.

² ينظر نواري سعود أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، ص 36.

³ المرجع نفسه، ص 37 - 38.

إنشاء»¹. ومجمل معناه أن الكلام يأتي خبراً أو إنشاءً؛ فالخبر إما ما كان مطابقاً للواقع وإما ما كان مخالفاً. أما الإنشاء فما لا يظهر فيه ما ظهر في الخبر.

إذن فالمتلقي يمكنه الحكم على تركيب ما بالصدق أو الكذب، فهو تركيب خبري صدقه محكوم بمطابقة الكلام للواقع، وكذبه مخالفته لذلك. والتمييز بين الخبر والإنشاء قائم على معيار خارجي؛ والخبر يساق لأغراض بلاغية أخرى يكشف عنها السياق والقرائن والأحوال المصاحبة للتلفظ. ومن معاني مقاصد الخبر؛² فائدة الخبر ولازم الفائدة؛ وهذه المقاصد هي الأصل، أما مقاصد إظهار الضعف، الاسترحام أو الاستعطاف، وإظهار التحسر، والوعظ أو الإرشاد، وغيرها من المقاصد فقد خرجت عن قيد الضربين السابقين يكشف عنها من خلال السياق.

والخبر يبين حالة المتلقي من الحكم حين تلقيه الكلام بين التأكيد وعدمه، فإذا كان المتلقي أو السامع ذهنه خال من الحكم فالخبر في هذه الحالة يأتي بلا مؤكدات، وهذا في البلاغة أطلق عليه بـ ضرب ابتدائي. ويقول القزويني في هذا السياق: >> فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر، والتردد فيه؛ استغنى عن مؤكدات الحكم كقولك " جاء زيد " <<³. وإذا كان المتلقي شاكاً في الحكم غير مطمئن ومتردد فيه، ويحاول أن يخرج نفسه من دائرة هذا اللبس، والغموض إلى محيط رحب وفسيح حتى يتبين له اليقين؛ هنا في هذه الحالة يُلجأ إلى أسلوب التوكيد لأجل أن يقتنع، وهذا نسميه بضرب طلبى، وجاء تعريفه عند القزويني قائلاً: >> وإن كان متصور الطرفين، متردداً في إسناد أحدهما إلى الآخر، طالبا له؛

¹ عبد الرحمن حسن حَبَّكَ المِيدَانِي، البلاغة العربية - أسسها، وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها .. ط 1 ، دمشق - بيروت، دار القلم - الدار الشامية، ج 1، 1996، ص 166.

² ينظر أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية - أثرها في الدراسات النحوية المعاصرة - ص 38-39.

³ القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 23.

حسن تقويته بمؤكد، كقولك: " لزيد عارف " <<¹ وهناك ضربا والأخير يسمى بالإنكاري؛ حيث يكون السامع في هذه الحالة بلغ درجة الإنكار ويجب أن يؤكد له الخبر بمؤكد أو أكثر حسب درجة إنكاره.² وفي هذا السياق يقول القزويني: >> وإن كان حاكما بخلافه وجب توكيده بحسب الإنكار؛ فنقول: " إني صادق " لمن ينكر صدقك، ولا يباليغ في إنكاره. " وإني لصادق " لمن يباليغ في إنكاره >>³.

- **مبدأ القصدية:** لقد ركزت التداولية على هذا المبدأ والذي لا يكون إلا أثناء عملية التواصل في مقام ما فهي إذن تركز على المتكلم وكيفية استخدامه للغة والكلمات التي ينتقيها وينظمها في كلامه تنظيما وكيف يحافظ على قواعد اللغة دون اختراق نواميسه وهذا من أجل المخاطب وليفهم بيانه وينفعل معه لأنه إذا لم يفهم المقصود من الخبر الذي نقله له المخاطب فالعملية التواصل تكون فاشلة وفي هذا السياق رأى سيرل أن التداولية: >> تهتم بدراسة اللغة التي يستعملها المتكلم في عملية التواصل، وعوامل المقام المؤثرة في اختياره أدوات معينة دون أخرى للتعبير عن مقصده <<⁴.

وهذا المبدأ نفسه الذي برز في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني في إلحاقه الألفاظ للمعاني وربطهما بمقاصد المستعملين، فهو يذكر القصدية لكن بمصطلح مغاير هو (معاني النفس)، ويقوم بربطها بالمتكلم والمخاطب؛ فالمتكلم ينتج كلاما فيتصرف به كيفما شاء، حيث يلجأ إلى أساليب كثيرة لإنتاج كلامه هذا وتبليغه للسامع كالترقيم والتأخير بين عناصر التراكيب والجمل، وأيضا الحذف أو الفصل والوصل وغيرها من الأساليب والوسائل التي يستعين بها من أجل إفهام المتلقي وتبليغه

¹ القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 23.

² ينظر أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية - وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ص 41.

³ القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 23.

⁴ سامية بن يامنة، (الاتصال اللساني بين البلاغة والتداولية)، دراسات أدبية، جامعة وهران - الجزائر، العدد 1،

المقصدية من كلامه أما السامع فهو جزء من حلقة هذا التواصل فهو يفعل مع المتكلم حسب نوع الكلام الذي نسجه المتكلم له، والمقاصد التي يتضمنها.¹

وأيضاً عنصر القصدية نجده عند الجاحظ لما رأى أن المتكلم يجب أن يراعي مخاطبه فيختار من اللغة أحسن الأصوات وأسهل الألفاظ تكون غير معقدة وغير غريبة وأن يسير على نظام اللغة؛ لأنه في اعتقاده أن اختراق لهذه الشروط تعد عيباً وأن عملية التواصل لا تؤدي بشكل كامل. ويقول في هذا السياق: >> ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار السامعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً <<. ²

- **التسييق:** والتسييق من السياق هو >> ربط الكلام (الملفوظات) بسياقه النصي واللساني السابق واللاحق <<. ³ إذن يتضح من خلال هذا التعريف أن الكلام لا يحدد معناه إلا تلك العلاقات القائمة بين الملفوظات والمواقع التي تأخذها على المستوى الخطي للغة؛ من حذف، وذكر، وتقديم، أو تأخير، وكذلك الفصل، أو الوصل، وغيرها من طرق استعمال اللغة. فالملفوظات ذات علاقات بسابقتها وأيضاً بلاحقاتها. إن مفهوم التسييق اقتبسته التداولية من اللسانيات الاجتماعية، وعملت على استثماره، وتوظيفه. وهو لا يختص بالجانب اللساني فقط، بل يتجاوز هذا الحد إلى السياق المقام؛ وهو >> النظر إلى العوامل الخارجية التي تؤثر في استعمالنا للغة. وهي... عوامل ثلاث: أولها: المعنى ... والثاني: التشكيل الاجتماعي... كطبقة المتكلم ومركزه، وطبيعة الموقف ... تؤثر في استعمالنا للغة تأثيراً بالغاً، والثالث: التفاوت الفردي بين

¹ ينظر نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، ص 33.

² المرجع نفسه، نقلاً عن البيان والتبيين، تقديم وتبويب وشرح علي أبو ملح، بيروت، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1988، ج1، ص 95.

³ مقبول إدريس، (البعد التداولي عند سيوييه)، عالم الفكر، العدد 1، المجلد 33، 2004، ص 254.

المتكلمين»¹. ولكن مقبول إدريس يؤكد على أن مفهوم التسييق حاضر في التراث العربي لكنه أهمل حتى أنسي وهذا ظلم في حقه. ولقد أثبت وجوده خاصة عند كتاب سيبويه؛ ويقول في هذا المقام >> وقد شد انتباهي أثناء استقرائي للكتاب نص نفيس لسيبويه في (هذا باب ما ينتصب لأنه خبر للمعروف المبني على ما هو قبله من الأسماء المبهمة)... وقد عبر الإمام بمفهوم جميل ودقيق هو " التهاون بالخلف " في إشارته إلى هذا الإهمال والتراخي في استحضار هذا البعد السياقي والمقامي في الإعراب. وللأسف الشديد لم أجد أحدا من شراح الكتاب ولا ممن جاء بعده من توقف عند هذا المفهوم، فقد ظل نسيا منسيا وهذا لعمرى إجحاف في حق هذا الرجل >>².

وها هو نهاد الموسى يشير إلى التسييق بأنه: >> الكلام يتألف من عناصر لغوية، يلاحظ أنها قد تقوم على عناصر غير لغوية، وعناصر أخرى من العالم الخارجي نراها أو نسمعها أو نحسها أو نشمها أو نذوقها، وتصبح هذه الأشياء الواقعة في مجال خبرة الحواس عنده كأنها أجزاء في بناء اللغة تقوم مقام العناصر اللغوية الخالصة من الألفاظ>>³. كما أنه قام بدراسة كتاب سيبويه ويكتشف في الأخير أنه قائم على شكلين من التحليل؛ فالأول ما هو إلا تحليل لغوي داخلي، أما الثاني فقد تجاوز هذه الدائرة ليربط تحليله اللغوي بالسياق والظروف التي من أجلها أنشأت اللغة، ودور الأطراف المتواصلة في إنشاء هذا الكلام كالمتكلم والمخاطب، وغيرها من هذه الأمور. ويقول في هذا السياق: >> يبدو لي أن " سيبويه " ... في كتابه ... صور معجبة من تجاوز الدائرة اللغوية الذاتية، تتمثل في التفاته إلى المعنى، وتنبهه إلى

¹ نهاد الموسى، الوجهة الاجتماعية في منهج "سيبويه" في كتابه (فهرس)، ط: بلا، عمان - الأردن، ص 308.

² مقبول إدريس، (البعد التداولي عند سيبويه)، ص 255 - 256.

³ نهاد الموسى، آفاق اللسانيات، ص 438.

السياق وما يلابسه من الظروف، والمتغيرات والمعطيات الخارجية التي تكتنف الموقف الكلامي، من حال المخاطب، وحال المتكلم، وموقف الخطاب...>>¹.

ولقد ساق لنا نهاد الموسى نماذج من قواعد سيبويه مع التمثيل لها وهي موزعة على ثلاث مستويات الصوتي والصرفي والتركيبى ثم قام بتصنيفها إلى؛ مستوى التحليل الداخلي للغة وأمثلتها: باب إعراب الأفعال المضارعة للأسماء، ثم يعرض لنا التغيرات التي يحدث لها كنصب بأحد الأدوات الخاصة به. ومن أمثلة الصرفية؛ حصر سيبويه لأبنية المضارع الثلاثي وأبنية اللازم والمتعدي وغيرها. أما البعد الثاني وهو تجاوز التحليل الشكلي للتراكيب النحوية والأبنية الصرفية فهو قائم على ملاحظة المعاني اللغوية وفق معطيات العالم الخارجي، ويظهر هذا خاصة في باب اللفظ للمعاني وتقسيمه للكلام وفق مبدئين؛ المستقيم والمحال وكانت النتيجة استنباطه منهما صوراً؛ المستقيم قد يكون حسن أو كذب أو قبيح أما المحال فله صورتان محال أو محال كذب؛ وساعده في هذا الاحتكام معطيات الواقع الخارجي.²

كما يستحضر مقبول إدريس مجموعة من الأمثلة من كتاب سيبويه ليشرح للقارئ مفهوم التسييق. ومن أمثلتها:

- مكة ورب الكعبة.
- القرطاس والله.
- الهلال ورب الكعبة.

ويرى أن هذه الجمل لا تتحدد دلالاتها إلا من خلال السياقات والمقامات التي جاءت فيها؛ أي أن التسوييق هو من يرفع اللبس والغموض الذي يكتنفها. فالتقدير في

¹ نهاد الموسى، الوجهة الاجتماعية في منهج "سيبويه" في كتابه (فهرس)، ص 309.

² المرجع نفسه، ص 312 - 313.

المثال الأول: (يريد مكة ورب الكعبة) والتقدير نفس الشيء للأمثلة الموالية؛ (أصاب القرطاس والله)، (أبصروا الهلال والله).¹

- **العقد اللغوي:** فقد اهتمت به التداولية اهتماما كبيرا لأنها ترى أنه شرط أساسي في الخطاب لتحقيق الإفهام وقد جاء تعريفه بأنه >> القاسم المشترك بين طرفي التعاقد، انطلاقا من القاموس، أي الألفاظ، وتواضعات ارتباطاتها بمدلولاتها، وفق سنن الجماعة، وصولا إلى قوانين التأليف... ثم قوانين التأويل <<.² ومضمون هذا القول أنه على مستخدمي اللغة مراعاة الاصطلاح اللغوي الذي تواضع عليه أبناء بيئة تلك اللغة وألا يخرجوا عن القواعد التي وضعت لهم لأن هذا التجاوز يمثل عائقا في تحقيق مقاصد المتكلمين.

وقد تفتن سيبويه إلى العقد اللغوي في حديثه عن الأشباه لنظيراتها، وأيضا حين تقسيمه للكلام وفق مبدئين؛ المستقيم والمحال واستنبط منهما أضرب الكلام مثل قوله: >> وأما المحال فإن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا، وسأتيك أمس<<.³ فالكلام هنا محال لمخالفته للعرف؛ وهو التناقض الذي حدث على المستوى التركيبي للجملة، فلفظة غدا يجب أن تقترن بالفعل المضارع أما لفظة أمس يجب أن تقترن بلفظة الفعل الماضي.

خلاصة:

وخلاصة هذا الفصل أن النظرية التداولية تدرس اللغة من جانبها الاستعمالي فهي نظرية تختلف اختلافا جذريا عن باقي النظريات الأخرى البنيوية كانت أم

¹ ينظر مقبول إدريس، (البعد التداولي عند سيبويه)، ص 257.

² نوارى سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، ص 36.

³ سيبويه، الكتاب، ص 25.

التوليدية أم غيرها. لم تعد دراسة اللغة حول مستوياتها المتعددة الصوتية والصرفية والتركيبية، وتقف عند الشكل؛ بل أصبحت تركز على المرسل والمتكلم والعلاقة المشتركة بينهما من معرفة ومعلومات، وأيضا تهتم بالجانب الزماني والمكاني الذين أنشأت من خلالهما الكلام.

والتداولية تعددت مصطلحاتها ومفاهيمها ولها أسبابها في ذلك، حتى البيئة العربية لم تسلم من أزمة التعدد في المصطلح. فقد أخذت تسميات كثيرة كالذرائعية والاستعمالية والتخاطبية وغيرها.

ولقد اهتم العالم العربي بالتداولية إلا أن أغلبهم مغاربة، ويظهر هذا الاهتمام في تطبيقهم على لغتهم العربية وعلى خطاباتهم ونصوصهم ومن أمثلة ذلك: كتاب في سيمياء الشعر لمحمد مفتاح، وله كتاب آخر بعنوان تحليل الخطاب الشعري، وأيضا هناك كتاب بعنوان الوظائف التداولية في اللغة العربية لأحمد المتوكل، وغيرها من الكتب.

لكن العرب لم يكتفوا بأمر التأثر والأخذ من الغرب تلك القضايا التداولية بل هناك بعض منهم من حاولوا إثبات حضورها في التراث العربي، وأسبقية العرب الغرب في مثل هذه الدراسات.

وأدلتهم في ذلك اشتراكهم في عنصر التواصل والعناصر الأساسية المساعدة في عملية التواصل من مرسل ومرسل إليه وعامل البيئة والزمن وعلاقة المتكلم بالمخاطب وغير ذلك. وهذا ما تلخصه لنا المقولة المشهورة لكل مقام مقال أو مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

والتداولية بارزة في كتب النحو عند النحويين كسيبويه وخاصة عند تحديده لأضرب الكلام وفق مبدأين اثنين؛ الاستقامة والمحال. وكذلك ظهرت التداولية في كتب البلاغة عند الجرجاني والسكاكي وغيرهم.

كما برزت عند الأصوليين وخاصة في ألفاظ العقود. إلى غير ذلك من الأدلة والحجج والبراهين التي تثبت أسبقية العرب إلى مثل هذه النظريات.

الخاتمة

إن القارئ المتفحص والمتمعن والمتابع للقضايا المطروحة في هذا البحث يبصر بعقله جملة من النتائج الهامة وتتمثل في؛ أن الدراسات اللغوية قبل عصر النهضة مرت بعدة مراحل وحصرها العلماء وخاصة دوسوسير في ثلاث مراحل أساسية وكل مرحلة مستقلة ومنفردة عن أختها، وأحيانا ما تتقاطع مع بعضها البعض للتداخل الكبير الذي فيما بينها.

وتتمثل هذه المراحل في؛ أن الأولى كانت معيارية قائمة على عنصر التمييز بين الصحيح والمزيف وطابعها فلسفي. أما الثانية فهي فيلولوجية تقوم باستقراء النصوص وتتبعها ثم التعليق عليها وشرحها. فهي تهتم بالمخطوطات والنقوش القديمة وغيرها من هاته الوسائل. وعنصر النقد فيها بارز بالقوة. أما المرحلة الموالية فالدراسة اللغوية فيها كانت تاريخية مقارنة؛ حيث تقوم على عملية المقارنة بين الظواهر اللغوية في لغات مختلفة وغالبا ما تكون من أسرة واحدة؛ فتبحث عن نقاط التشابه والتماثل - في نفس الوقت - بين هذه اللغات. وهذا البحث يمس كل مستويات اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية. أما التاريخي فيقوم بتتبع ظاهرة من الظواهر اللغوية من مستوى معين فيقفو أثر التطور الذي طرأت عليها عبر الزمن إلى هذا اليوم.

لكن الحياة تتبدل وتتجدد، والأفكار والمفاهيم والأسماء والمصطلحات لا تبقى كما هي بل تتغير هي كذلك. وهذا التغيير أصاب الدراسات اللغوية، وكانت انطلاقة على يد دوسوسير الذي أعاد قراءة طريقة ومنهج دراسة اللغة، فتبين له أنه لا بد من الانتقال إلى طريقة أخرى ومنهج آخر غير ما هو متبع الآن.

وفكر في البحث عن الحل فرأى أنه من الواجب الفصل بين شيئين؛ ألا وهو التمييز بين الدراستين التاريخية والتزامنية . فدعا إلى الدراسة العلمية الموضوعية والوصفية للغة. ومن خلال هذه النقطة شرع بتقديم جملة من الثنائيات ويُجري عليها مبدأ التفريق. ومن هذه الثنائيات اللغة والكلام، الدال والمدلول والعلاقة التي تربطهما، ثم محور التوزيع والاختيار إلى غيرها من الثنائيات. وقد لعبت أفكاره ومبادئه التي جاء بها دورا كبيرا في الاتجاهات اللسانية المعاصرة فقد قيل عنه أنه أبو اللسانيات وأنه م مهد النزعة البنيوية. فمبادئ البنيوية نفسها مبادئ دوسوسير وإن صح التعبير هي نسخة طبق الأصل.

كما نجد التيارات الأخرى لا تخلو من أفكار ومبادئ دوسوسير تماما، بل حاضرة فيها لم تغب وإلى حد الساعة مازالت حاضرة فيها. فقد تأثرت بها التيارات الأخرى كالوظيفيين والتوزيعيين والسلوكيين وغيرهم كثيرون. وإن اختلفوا إلا أن هذا الاختلاف لا يبعد تأثر تلك الاتجاهات بدوسوسير.

والبنيوية كما يبدو أنها تقوم بخطوات أثناء الدراسة للظاهرة وهي؛ ملاحظة الوقائع اللغوية ووصفها دون أحكام مسبقة، ثم ينتقل الباحث إلى مرحلة التجربة على الوقائع للتأكيد من صحة ملاحظته للظاهرة ثم يقوم ببناء النماذج ثم إلى بناء البنية ثم إلى النسق وبعدها إلى الأنساق.

ومن مبادئ البنيوية أسبقية الكل على الأجزاء، والعلاقة على الأجزاء، ومبدأ المحايثة والسياقية وغيرها. لكن البنيوية تعرضت لنقد لاذع من قبل تشومسكي، ورأى أنها غارقة في دراسة الشكل وإهمال المعنى، فغيّر من قبلة الدراسة اللغوية من الاتجاه البنيوي نحو اتجاهه، وركز على المتكلم وعلى إبداعه للغة واستتبط قواعد جديدة لم تكن موجودة من قبل كالتحويل والتوليد والبنية السطحية والعميقة وغيرها من القواعد.

ولكن لم تتوقف الدراسة للغة عند اتجاه تشومسكي بل تجاوزت ذلك إلى اتجاهات أخرى جديدة والمتمثلة في التداولية وهي دراسة اللغة في الاستعمال، وتركز على العناصر الأساسية المتفاعلة في التواصل، وخاصة بين المتكلم والمخاطب، والعلاقة المشتركة بينهما من معرفة وثقافة وأمور أخرى.

وتتمثل مبادئها في أفعال الكلام، والاستلزام الحواري، والافتراض المسبق، والتسبيق والإشارات كالضمانر والشخصية والزمان والمكان، وغيرها من المبادئ التي تكاد لا تنحصر.

والاتجاهات الثلاثة السابقة يمكن تصنيفها في اتجاهين كبيرين: الأول يراعي دراسة نظام اللغة وعلاقة عناصره بعضها ببعض دراسة شكلية تبعدها عن السياق الاجتماعي والثقافي، فهذا الاتجاه يهتم بالشكل أكثر من المعنى وتندرج تحته النظريتان؛ البنيوية والتحويلية. أما الاتجاه الثاني فيهتم بالمتكلم والسامع والعلاقة التي تربطهما، وما يصدر منهما من حركات كالإشارة باليد أو تقطيب الحاجبين أو احمرار الوجه وغيرها من علامات الحركات. وتهتم بمقاصد المتكلم وتفاعل المخاطب معه وتدخل التداولية ضمن هذا الاتجاه.

لكن سنة الله في الحياة أن خلق الناس، وجعلهم قبائل وشعوبا للتواصل والتبادل فيما بينهم، وهذا ما قام به علماءنا العرب لما اتصلوا بالغرب، وتأثروا بهم. وخاصة في مجال اللسانيات. وشرعوا يترجمون كتبهم، فقد ترجموا اتجاهاتهم البنيوية والتوليدية والتداولية، ثم نقلوها إلى أوطانهم وهنا يقع ما لم يُتوقع وهو انقسام الباحثين العرب والمنقذين إلى طوائف وأبرزها ثلاث.

الطائفة الأولى أصحابها رضوا بهذه الاتجاهات، فتمعنوا النظر فيها، ودققوا النظر في قضاياها ومسائلها وما تضمنته من مبادئ وقواعد، وهؤلاء متفاوتون في درجة الفهم والاستيعاب وتطبيق تلك الاتجاهات على لغتهم الرسمية العربية؛ فمنهم ذو درجة

عالية من الفهم والدقة، ومنهم ذو درجة متوسطة، ومنهم دون ذلك. الشيء نفسه مع الطائفة الثانية: فهم درجات في البحث عن تلك النظريات اللسانية في التراث العربي فمنهم من تمكن أشد التمكين في الغوص في رحم أمهات الكتب، وتفقّد نقاط التلاقي بين الفكرين الفكر الغربي والفكر العربي. ومنهم من كان متوسطا، ومنهم من كان دون ذلك، فلم يفهم جيدا النظريات، فيخلط بين الغث والسمين في البحث، وتأتيه النتائج غير مرضية. أما الفريق أو الطائفة الأخيرة فقد أصابها التزمت والتحجر ولم ترض بالدراسات الغربية الحديثة وتراها غير صالحة إطلاقا، ولا يجوز تطبيقها على العربية أو البحث عنها في التراث العربي.

وأياها هناك طائفة أخرى وهي خير الطوائف. وكلُّ حسب وجهة نظره، وقد وقفت موقف وسط بين المنصهر انصهار كلي في الدراسات الغربية، وبين المنصهر التام بالتشبث والتمسك بالتراث وعدم تقبلها للدراسات الحديثة، فهي تقوم بتطبيق تلك الاتجاهات على العربية؛ ما صلح فمقبول، وما لم يصلح فمردود، هذا أولا. أما ثانيا هو نقد التراث واستخراج منه بالمقارنة كل ما وافق النظريات أو ما يعارضها.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : الكتب

1. أحمد المتوكل:
- المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، ط1، ساحة المأمونية الرباط، مكتبة دار الأمان، 2006.
- الوظائف التداولية في اللغة العربية، ط1، الدار البيضاء – المغرب، دار الثقافة، 1985.
3. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ط1، دمشق، دار الفكر، 1996.
4. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، 2002.
5. الإستزبادي(الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن)، شرح شافية ابن حاجب، تحقيق محمد نور الحسن، محمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الجزء الثالث، 6. تمام حسان :
- اللغة بين المعيارية والوصفية، ط 4، القاهرة، عالم الكتب، 2001.
- اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، سنة 1994.
- مقالات في اللغة والأدب، ط1، القاهرة، عالم الكتب، ج 2، 2006.
- مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة 1990.
10. التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ط2، روية الجزائر، دار الوعي، 2008.
11. الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد)، تعليق أبو فهر محمود محمد شاكر، دلائل الإعجاز، ط: بلا، القاهرة، الناشر مكتبة الخانجي.
12. حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ط 1، بنغازي- ليبيا، دار الكتاب الجديد المتحدة إفرنجي، 2009.
13. حسام البهنساوي، التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث، ط 1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2004.
14. حسان البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ط: بلا، القاهرة، 1994.
15. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط2، جامعة سطيف – الجزائر، بيت الحكمة، 2012.
16. خليل أحمد عميرة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، ط 1، عمان – الأردن -، دار وائل، 2004.
17. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ط 2، حيدرة – الجزائر، دار القصبه للنشر، 2006/2000 .
18. الزواوي بغورة، المنهج البنيوي – بحث في الأصول والمبادئ -، ط 1، عين مليلة – الجزائر، دار الهدى، 2001.

19. سامية بن يامنة، (الاتصال اللساني بين البلاغة والتداولية)، دراسات أدبية، جامعة وهران - الجزائر - العدد 1، ماي 2008.
20. سعد البازغي وميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، ط 2، بيروت - لبنان، المركز الثقافي العربي، 2000م.
21. سعيد حسن بحيرى، علم اللغة النص المفاهيم والاتجاهات، ط 1، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2004.
22. السعيد شنوكة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ط 1، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2008.
23. السكاكي (أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي)، مفتاح العلوم، ط 1، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، 1983.
24. سلمان حسن العاني، ترجمة ياسر الملاح، مراجعة محمد محمود غالي، التشكيل الصوتي في اللغة العربية - فونولوجيا العربية -، ط 1، جدة - المملكة العربية السعودية، النادي الأدبي الثقافي.
25. سيوييه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الكتاب، ط 3، القاهرة، الناشر مكتبة الخانجي، 1977، ج 1.
26. صالح الكشو، النحو التحويلي العربي الاسم والفعل والحرف، ط: بلا، تونس، مركز النشر الجامعي، 2002.
27. صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ط : بلا، بن عكنون - الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
28. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ط: بلا، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978.
29. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، ط 2، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، 2000.
30. عادل فاحوري، اللسانية التوليدية والتحويلية، ط 1، بيروت- لبنان، دار الطليعة، 1980 .
31. عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، دار ومكتبة الحامد، عمان، 2013.
32. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية - أسسها، وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها .. ط 1، دمشق - بيروت، دار القلم - الدار الشامية، ج 1، 1996 .
33. عبد القادر الفاسي الفهري، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، ط 1، بيروت- لبنان، دار العرب الإسلامي، 1991.
34. عبد القادر المهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي، ط 1، بيروت - لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1993 م .
35. عبد الله الغدامي، الخطبة والتكفير (من البنيوية إلى التشرحية، نظرية وتطبيق)، ط 6، الدار البيضاء - المغرب، الناشر المركز الثقافي العربي، 2006 .
36. عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، ط: بلا، المنيل - القاهرة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 1999.
37. فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث - دراسة في النشاط اللساني العربي، ط 1، يتراك للنشر والتوزيع هليوبوليس غرب- مصر الجديدة، سنة 2004.

38. فردينان ديسوسير، علم اللغة العام، ترجمة بونيل يوسف عزيز، مراجعة مالك يوسف المطليبي، ط 1، الأعظمية - بغداد، دار آفاق عربية، 1984.
39. القزويني (جلال الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمان) تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، الإيضاح في علوم البلاغة، ط: بلا، صيدا بيروت، المكتبة العصرية، 2004 .
40. محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ط: بلا، الجزائر، دار الحكمة، 2001.
41. محمد حسن عبد العزيز سوسيرراند علم اللغة الحديث، ط بلا، القاهرة، دار الفكر العربي، 1989.
42. محمد حماسة عبد اللطيف، من الأنماط التحويلية في النحو العربي، ط 1، القاهرة، محكمة دار العلوم، الناشر مكتبة الخانجي، 1990.
43. محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، ط 1999 عمان، دار الفلاح للنشر والتوزيع، 1999.
44. محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ط 1، بنغازي - ليبيا، دار الكتب الوطنية.
45. محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، ط: بلا، مصر، دار نهضة، 1996 .
46. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط: بلا، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2002.
47. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ط: بلا، بيروت، دار النهضة العربية.
48. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط 1، بيروت - لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2005 .
49. مشال زكريا:
- الأسنوية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ط2، بيروت لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1986
 - الأسنوية- علم اللغة الحديث - المبادئ والأعلام، ط 2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1985 .
 - قضايا أسنوية تطبيقية، ط 1، بيروت- لبنان، دار العلم للملايين، 1993
52. مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، ط1، صيدا بيروت، المكتبة العصرية، 1998
53. مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ط1، دار الورد الأردنية، 2013 .
54. نوارى سعودي أبو زيد فيتداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، ط 1، سطيف - الجزائر، بيت الحكمة، 2009
55. نوزاد حسن أحمد، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، ط1، بن غازي، دار الكتب الوطنية، 1996
56. هيثم سرحان، آفاق اللسانيات، ط 1، بيروت - لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، 2011،
57. وليد محمد مراد، تطور الجهود اللغوية في علم اللغة العام، ط 1، دمشق - بيروت، دار الرشد، بيروت لبنان، مؤسسة الإيمان، 1984،

ثانياً: الدوريات

1. أحمد فليّح، (مشروع اللغوي النهضوي المعاصر... مثل من أعمال نهاد الموسى)، المجلد العاشر العدد الثاني، 2006،
2. باديس لهويل، (التداولية والبلاغة العربية) ، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد السابع، بسكرة - الجزائر، 2011 .
3. جعفر دك الباب،(تاريخ نشأة اللسان العربي)، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، العدد الثامن، دمشق، رمضان 1402هـ- تموز 1982م
4. جعفر دك الباب، (الخصائص البنيوية للفعل والاسم في العربية)، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، العدد (11 و12)، دمشق جمادى الآخرة/رمضان 1403-(أبريل ويوليو)1983
5. حمدان رمضان أبو عاصي، (التطورات النظرية والمنهجية للنظرية التوليدية في نصف قرن)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد4، العدد3، رمضان 1428هـ / أكتوبر 2007م
6. خالد بن عبد الكريم بسندي، المخاطب والمعطيات السياقية في كتاب سيبويه، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، العدد 2، جمادى الأولى 1433هـ/نيسان، م 7، 2012
7. سعد العبد الله الصويان، (النظرية اللغوية عند فردينان ديسوسير)، مجلة الدراسات اللغوية، كلية الآداب - جامعة الملك سعود، 1422هـ / 2001 م، العدد 2
8. محمد سويرتي، اللغة ودلالاتها تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، مج 28، العدد 3، 2000
9. محمد بن صالح وحيد، (اللسانيات والتراث النحوي إشكالات منهجية وإبستمولوجية)، الندوة الدولية الثانية قراء التراث الأدبي واللغوي في الدراسات الحديثة، الرياض، 2014
10. محمود فهمي حجازي: (أصول البنيوية في علم اللغة والدراسات الأنتولوجية)، في مجلة عالم الفكر، العدد1، المجلد 3، وزارة الإعلام في الكويت، 1976م
11. مقبول إدريس، (البعد التداولي عند سيبويه)، عالم الفكر، العدد1، المجلد 33، 2004
12. يحيى بعيثش، اطروحة دكتوراه دولة، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، جامعة منتوري قسنطينة، 2005 - 2006 م.

قائمة فهرس الموضوعات

مقدمة.....	أ - د
تمهيد.....	5 - 6
الفصل الأول: الاتجاه البنوي في الكتابات العربية.....	8 - 9
المبحث الأول: البنية السوسورية في البحوث العربية.....	9 - 30
أولاً: الإرهاصات الأولى للدراسات السوسيرية في الوطن العربي.....	9 - 13
ثانياً: أهم القضايا والأفكار السوسورية المطروحة في الكتب العربية.....	13 - 18
أ. أهمية علم اللغة التاريخي في تطوير الدراسات اللغوية.....	13
ب. اللسان واللغة والكلام.....	14
ج. العلامة اللغوية.....	15
د. النظرة الوصفية والنظرة التاريخية.....	17
هـ. ثنائية المحور الاستبدالي والمحور النظامي.....	18
ثالثاً: بعض نماذج الكتابات العربية المتناولة لأراء وأفكار دوسوسير.....	18 - 23
أ. نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي للمؤلف عبد الناصر حسن محمد.....	18 - 19
ب. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي للمؤلف محمود السعران.....	20
ج. مشكلة البنية للمؤلف زكريا إبراهيم.....	20
د. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية -نظرية وتطبيق- للمؤلف عبد الله الغدامي.....	20 - 23
رابعاً: البنيوية السوسورية في البحوث العربية القديمة (التراثية).....	23 - 28
1- سيبويه.....	24 - 25
أ. السماع.....	24 - 25
ب. اللغة والكلام.....	25
ج. وحدة الزمان والمكان.....	25
2- عبد القاهر الجرجاني.....	26 - 28
أ. اللغة علاقات من الألفاظ.....	26 - 27
ب. وظيفة اللغة.....	27
ج. الألفاظ رموز للمعاني.....	27

د. العلامة اللغوية.....27

و. علاقة الانتظام.....28

30 - 28 خلاصة

المبحث الثاني: البنية الوظيفية في الدراسات العربية..... 31 - 53

أولاً: أهم المسائل اللغوية الوظيفية المطروحة في الكتابات العربية الحديثة..... 33 - 41

أ. المسألة الأولى: الصوتيات الوظيفية..... 33 - 38

ب. المسألة الثانية: الكلمة..... 38 - 40

ت. المسألة الثالثة: النحو التركيبي..... 40 - 41

ثانياً: بنوية تمام حسان الوظيفية..... 41 - 44

ثالثاً: البنيوية الوظيفية في التراث العربي القديم..... 44 - 52

53 - 52 خلاصة

الفصل الثاني: التوليدية التحويلية في الكتابات العربية قراءة ونقد..... 54 - 90

المبحث الأول: الاتجاه التعريفي التحليلي للتوليدية في الدرس اللساني العربي..... 55 - 73

أولاً: النظرية التوليدية التحويلية ومراحل نشأتها..... 55 - 56

ثانياً: أهم القضايا التوليدية التحويلية الواردة في كتابات العرب المحدثين..... 57 - 60

أ. دعوة تشومسكي إلى تغيير منهج دراسة اللغة..... 57

ب. الكفاءة اللغوية والأداء اللغوي..... 58

ج. القواعد الكلية..... 58

د. طرق التحليل اللغوي..... 58

هـ. مستويا البنية التركيبية..... 59

و. عنصرا المكون التركيبي..... 59

ثالثاً: أثر التوليدية التحويلية في الكتابات العربية..... 60 - 73

أ. محاولات توليدية جزئية..... 61 - 71

1. داود عبده..... 61 - 63

2. ميشال زكريا..... 63 - 65

3. صالح الكشو..... 65 - 67

4. عادل فاخوري ومحمد علي الخولي.....67 - 71
- ب. محاولات توليدية شمولية.....71 - 73
- المبحث الثاني: الاتجاه التأصيلي الإسقاطي في البحث التوليدي العربي 74 - 90
- أولاً: آراء الباحثين في ربط التراث اللغوي بالفكر اللغوي التوليدي التحويلي..... 74 - 78
- ثانياً: قضايا تلاقي الفكرين ؛ العربي والفكر تشومسكي..... 78 - 89
1. اعتراض تشومسكي على الوصفين.....78 - 79
2. قضية الأصلية والفرعية.....79 - 81
3. تركيز تشومسكي على الجمل.....81
4. البنية السطحية والبنية العميقة.....81 - 82
5. اللغة نظام عقلي.....83
6. القدرة اللغوية أو الكفاءة اللغوية.....83 - 84
7. التحويلية.....84 - 85
8. ضرورة الربط بين النحو والبلاغة.....85
9. الكلام الأصولي والكلام غير الأصولي.....85 - 86
- 86
10. قضية العامل.....86 - 87
11. قواعد الحذف.....88
12. قواعد الزيادة.....88
13. قواعد إعادة الترتيب.....88 - 89
- خلاصة: 89 - 90
- الفصل الثالث: الاتجاه التداولي العربي الحديث..... 91 - 118
- المبحث الأول: الكتابات التمهيديّة عن التداولية العربية..... 92 - 103
- أولاً: الاختلاف حول مصطلح التداولية..... 92 - 95
- ثانياً: التداولية في البيئة العربية الحديثة..... 95 - 96
- ثالثاً: الكتابات التداولية العربية الحديثة..... 96 - 99
1. في سيمياء الشعر القديم لمفتاح.....96
2. تحليل الخطاب الشعري لمحمد مفتاح.....97
3. الوظائف التداولية في اللغة العربية لأحمد المتوكل.....97 - 99

99.....	4. إستراتيجية الخطاب، مقارنة لغوية تداولية لعبد الهادي بن ظافر الشهري.....
103 - 100	رابعا: أهم قضايا اللسانيات التداولية في الكتابات العربية.....
101 - 100.....	أ. أفعال الكلام.....
102 - 101.....	ب. الافتراض المسبق.....
102.....	ج. الأقوال المضمرة.....
103 - 102.....	د. الاستلزام الحواري.....
118 - 104	المبحث الثاني: الكتابات التراثية وتطبيق المناهج الغربية على النصوص العربية.....
106 - 104	أولا: آراء ووجهات نظر محدثين في مسألة حضور قضايا تداولية في التراث العربي.....
109 - 106	ثانيا: علاقة البلاغة العربية بالتداولية.....
117 - 109	ثالثا: أهم القضايا التداولية الحاضرة في الدراسات العربية القديمة.....
113 - 109.....	- أفعال الكلام.....
114 - 113.....	- مبدأ القصدية.....
117 - 114.....	- التسييق.....
117.....	- العقد اللغوي.....
- 117	خلاصة:.....
	118
123 - 120	خاتمة.....
127 - 124.....	فهرس المصادر والمراجع
131 - 128.....	فهرس الموضوعات.....